الفكر الصهيوني
وأزمة المشروعية

دار الجندي للنشر والتوزيع – القدس

*

darjundi46@gmail.com

www.for-alquds.org

الفكر الصهيوني وأزمة المشروعية

د. الحسين بودميع

الطبعة الأولى (2021).

*

جميع الحقوق محفوظة لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، بدون إذن خطي من الناشر.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced in any form or by any means without prior permission of the publisher.

الفكر الصهيوني

وأزمة المشروعية

الذرائع التوراتية والتاريخية لدعوى الحق اليهودي في فلسطين

عرض ونقد

د. الحسين بودميع

الطبعة الأولى

2021 م

❍ قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾. سورة الأنبياء: 105.

❍ "إن اليهود الحاليين ليسوا هم أحفاد اليهود القدماء، ومن ثم فلا تحق لهم المطالبة الشرعية بالأرض المقدسة+.

اللورد موين سكرتير الدولة البريطانية خلال الأربعينات

❍ "اليهود عبارة عن طائفة دينية اجتماعية، انضم إليهم في جميع العصور أشخاص من أجناس شتى، جاءوا من جميع الآفاق؛ فمنهم الفلاشا...، ومنهم الألمان...، ومنهم التامل...، والخزر...، ومن المستحيل أن نتصور أن اليهود ذوي الشعر الأشقر.. والعيون الصافية اللون... يمتون بصلة القرابة – قرابة الدم– إلى أولئك الإسرائيليين الذين كانوا يعيشون بجانب نهر الأردن+.

أستاذ علم الأجناس بجامعة جنيف: أوجين بيتار

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، عليه نتوكل وبه نستعين، والحمد لله الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، والصلاة والسلام على إمام المرسلين؛ إذ أمهم في الأرض المقدسة أرض المسرى.

وبعد

فإن قضية فلسطين هي قضية المسلمين الأولى، ويفترض أن تحتل المركز الأول في اهتمام كل مسلم، وأن يترجِم هذا الاهتمام إلى ما يسعه تقديمه من إسهام مادي أو أدبي في سبيل تحريرها من الاحتلال الصهيوني.

وإذا كان العدو الصهيوني لا يكتفي بمنطق القوة المادية في السعي لفرض هيمنته على الأرض، بل يستعمل أيضا السلاح الأدبي الذي يتخذ أشكالا عديدة؛ منها توظيف البحث الأكاديمي في المجالات الأثرية والأنثروبولوجية والدينية.. لإقناع الرأي العام العالمي بمشروعية احتلاله أرضَ فلسطين؛ فإن المقاومة كذلك ينبغي ألا تقتصر على الأشكال المادية، بل يجب أن تشمل أيضا مجال التأليف العلمي، والعمل من خلاله على نقض المزاعم الصهيونية بشأن فلسطين علميا وتاريخيا ودينيا.

وأبرز هذه المزاعم: **دعوى حق اليهود تاريخيا ودينيا في أرض فلسطين**.

ومع أنه زعم زائف؛ فإنه من العقائد الراسخة لدى قطاع عريض من الرأي العام العالمي عامة والغربي على وجه الخصوص، لأسباب كثيرة يرتبط بعضها بتأثير التحولات الدينية في الغرب إبان ما يسمى الإصلاح الديني في أوربا خلال القرن السادس عشر، وبعضها يرجع إلى قوة الدعاية الصهيونية؛

حيث عملت الحركة الصهيونية على توظيف هذا المعتقد، والترويج لدعوى الحق اليهودي في فلسطين عبر المؤتمرات واللقاءات ووسائل الإعلام والاتصال ومراكز البحث التابعة والداعمة لها، سالكة في ذلك سبلا ذات قوة إقناعية كبيرة لدى العامة؛ كالبحث العلمي في المجالات الأثرية لإثبات السيطرة الإسرائيلية على أرض فلسطين في الماضي، وفي المجالات الأنثروبولوجية لإيهام الرأي العام بالوحدة العرقية لليهود، وانحدارهم جميعا من السلالة الإسرائيلية، ومن ثم الزعم بأن الأرض أرض أجدادهم؛ حتى غدت هذه الدعوى عقيدة مسلمة لدى الكثير.

فما المستندات التي يتكئ عليها الصهاينة في الترويج لدعوى استحقاق اليهود أرضَ فلسطين على التفصيل؟

وما قيمتها الثبوتية والعلمية؟

وهل تقوى هذه الدعوى ومستنداتُها على الصمود أمام الحقائق التاريخية والدينية والعلمية؟

هل استيطان بني إسرائيل في الماضي أرضَ فلسطين يسوِّغ احتلالَ يهودِ اليوم لها؟

أصحيح أن نصوص وعد بني إسرائيل وآبائهم بالأرض وحي من الله؟

أليس الوعد بالأرض في هذه النصوص مقيدا بشروط يجب توفرها في الموعودين؟

هل حالة اليهود تستجيب لتلك الشروط؟

وهل ما تنبأت به النصوص الدينية من عودة بني إسرائيل إلى الأرض بعد "الشتات+ ينطبق على تجمع اليهود حاليا في أرض فلسطين؟

وهل يهود اليوم من سلالة بني إسرائيل؟

في محاولة للإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها أُنجز هذا العمل تطلعا لشرف الإسهام في هتك الستر عن أكذوبة الحق الديني والتاريخي لليهود في فلسطين، التي روجت لها الصهيونية حتى صدق بها عدد غير قليل من الناس حتى من العرب والمسلمين.

وقد رتبته على فصلين مفتتحا بمقدمة في موضوع الدراسة وأهميته، ومذيلا بخاتمة تضم أهم ما كشف عنه البحث من نتائج.

فالفصل الأول: في التعريف بـ أرض الميعاد+ وعرض دعوى الصهيونية الحق اليهودي فيها ومستنداتها، وهو مؤلف من مبحثين: أولهما في تعريف أرض الميعاد+ التي يزعم الصهاينة حق اليهود فيها وبيان حدودها كما هي في أسفارهم، وفي المخطط الإستراتيجي للصهيونية، والثاني في التعريف بالصهيونية ونشأتها بين اليهود، وعرض دعوى الحق اليهودي في فلسطين ومستنداتها التاريخية والدينية.

أما الفصل الثاني فيعرض دعوى الحق اليهودي في فلسطين على موازين النقد التاريخي والديني والعلمي قصد إثبات زيفها، وقد انتظم في ثلاثة مباحث؛ أولها في الدليل التاريخي على بطلان الدعوى، ويستند إلى: حقيقة سبق الكنعانيين تاريخيا إلى الأرض، وقاعدة سقوط الحق في الأرض بالتقادم، وحقيقة انتفاء الصلة النسبية بين يهود اليوم ويهود بني إسرائيل، وثاني المباحث في الدليل الديني؛ ويستند إلى إثبات ضعف القيمة الثبوتية لمصادر الوعد ونبوءات العودة، وبيان انتفاء شرط الصلاح والتقيد بأحكام الشريعة الموسوية – الذي تشترطه أسفار التوراة لاستحقاق الأرض – في اليهود عبر

التاريخ، وفي يهود اليوم خاصة، وعدم انطباق الوعد بالأرض ونبوءات العودة على اليهود الحاليين.

بينما خُصص المبحث الأخير للدليل الأنثروبولوجي؛ ويروم إظهار التنوع العرقي بين اليهود الحاليين، والمنحدار معظمهم من يهود الخزر ذوي الأصول التركية والأوربية، وأن باقي اليهود إما أمازيغ أو عرب أو فلاشا أو صينيون؛ بما يثبت أن السلالة الإسرائيلية لا تكاد توجد بين يهود العصر الحالي، ويبطل تلقائيا أكذوبة أن فلسطين أرض أجدادهم.

هذا ولست أرى ضيرا في إعادة طرق هذا الموضوع بعد ما صدرت فيه دراسات تعالجه كليا أو جزئيا؛ فإن مغتصب الأرض لا يمل من تكرار كذبه في دعوى حقه فيها، ولا يكتفي في سبيل تزييف الحقيقة بكتاب واحد ولا بعشرة ولا بمائة؛ وإذا كان المبطلون يرددون الكذب والباطل ويكررونه مرات ومرات حتى يتوهمه الناس حقيقة، أفلا يحق لأصحاب الحق أن يرددوا حقهم ويكرروه حتى يستقر في الأذهان أنه ليس باطلا؟

وقد تأكدت الحاجة إلى طرق الموضوع من جديد تذكيرا وتنويرا وتحذيرا مع ما تعرفه القضية الفلسطينية في هذه الآونة من تراجع بعض المواقف الرسمية العربية من الاسترزاق بالقضية وتحولها إلى الاستقواء بالتطبيع مع الاحتلال؛ فتصاعدت مظاهر التخاذل عن نصرتها، بل ومالأة الكيان الوظيفي الصهيوني وراعيه الامبريالي ضد الفلسطينيين، وترديد أكاذيب الصهيونية بشأن الحق اليهودي في أرض فلسطين.

وقد انتظر هذا العمل طويلا ليجد فرصته للخروج إلى النور، إلى أن حدث التواصل مع الفضلاء في دار الجندي للنشر والتوزيع، الـذين بـادروا مشـكورين إلى الترحيب بالبحث، وقبول العمل على طباعته ونشره.

فجزى الله خيرا الأخ الفاضل الأستاذ سمير الجندي ومن معه من القائمين على الدار، وبارك جهودهم في خدمة قضية الأمة؛ قضية فلسطين.

الحسين بودميع

في مراكش الحمراء – المغرب

غشت 2020

❑ ❑ ❑ ❑

الفصل الأول

"أرض الميعاد"

ودعوى الحق اليهودي فيها

تعريف "أرض الميعاد+ وحدودها.

الصهيونية ودعوى حق اليهود في فلسطين.

المبحث الأول

تعريف "أرض الميعاد" وحدودها

قد يتعذر على الباحث في هذا الموضوع أن يصل إلى تصور واضح حول "أرض الميعاد+ التي يدعي الصهاينة حقَّ اليهود فيها؛ لاختلاف النصوص التوراتية واضطرابها في تحديد نطاقها، ورسم حدودها؛ ما بين نص موسع وآخر مضيِّق وآخر بينهما، واختلاف الطوائف اليهودية – بناء على ذلك – في تعريفها.

غير أنه يمكن القول على العموم: إنها الأرض التي تدعي الصهيونية أن "الله+ وعد بها اليهود؛ ويسمونها في كتبهم (أرض إسرائيل)[1]، ويصفونها ب(الأرض المقدسة)[2]، و(أرض الرب)[3] و(الأرض التي يعتني بها الرب)[4]، و(الأرض البهية)[5]، و(الأرض الصالحة)[6]، و(صهيون التي يسكن الرب في وسطها)[7]،وهي "أَرْضٌ جَيِّدَةٌ وَوَاسِعَةٌ.. تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلاً+[8].

---

(1) سفر صموئيل الأول: 13/ 19، وسفر الملوك الثاني: 5/ 2و4، وسفر حزقيال: 11/ 17.

(2) سفر زكرياء: 2/ 12، وسفر المكابيين الثاني: 1/ 7.

(3) سفر إشعيا: 14/ 2، وسفر هوشع: 9/ 3.

(4) سفر التثنية: 11/ 12.

(5) سفر دانيال: 11/ 16 و 41.

(6) سفر يشوع: 23/ 13 و 15 و 16.

(7) سفر زكرياء: 2/ 10.

(8) سفر الخروج: 3/ 8.

وقد حدد الدكتور عبد الوهاب المسيري نطاقها تحديدا تقريبيا في قوله: "(إرتس يسرائيل) عبارة عبرية.. وتعني حرفيا: (أرض إسرائيل)، ويستخدم هذا المصطلح للإشارة إلى أرض فلسطين، وبعض المناطق المتاخمة لها .. من مرادفاتها: .. (الأرض المقدسة)، و(أرض الميعاد)+[1].

وأكثر شيء يقرب مفهوم الأرض إلى الذهن بيان حدودها، بيد أن حدود "أرض الميعاد+ كما سلف غير واضحة في نصوص العهد القديم؛ إذ منها ما يوسع نطاقها لتشمل كل ما بين (نهر مصر) و (نهر الفرات) من البلاد؛ كما في سفر التكوين أن الرب خاطب إبراهيم قائلا: "لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ، مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ+[2]، وقريب منه ما في سفر التثنية خطابا لبني إسرائيل بعد خروجهم من مصر: "كُلُّ مَكَانٍ تَدُوسُهُ بُطُونُ أَقْدَامِكُمْ يَكُونُ لَكُمْ. مِنَ الْبَرِّيَّةِ[3] وَلُبْنَانَ؛ مِنَ النَّهْرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ، إِلَى الْبَحْرِ الْغَرْبِيِّ[4] يَكُونُ تُخْمُكُمْ+[5].

وفي سفر حزقيال تفصيل أكثر وضوحا وتحديدا لحدود الأرض الموسعة هذه؛ فقد جاء فيه: "هَذِهِ هِيَ الْحُدودُ التِي فِيهَا تَرِثُونَ الأَرْضَ عَلَى حَسَبِ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ الاثْنَيْ عَشَرَ ... وَهَذِهِ حُدودُ الأَرْضِ مِنْ جِهَةِ الشّمَالِ: مِنَ

---

(1) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية الموجزة، ط. دار الشروق، القاهرة، الطبعة.6، (2010م): 2/ 455.

(2) سفر التكوين: 15/ 18.

(3) (البرية) هي الصحراء، وقد استعملت في العهد القديم للدلالة على عدة مناطق، وأكثر ما تطلق عليه فيه (صحراء سينا)، والأرجح أنها المرادة هنا.

(4) (البحر الغربي) هو البحر الأبيض المتوسط؛ لوقوعه غرب الأرض المقدسة.

(5) سفر التثنية: 11/ 24.

الْبَحْرِ الْكَبِيرِ[1] عَلَى طَرِيقِ حَثْلونَ[2] وَأَنتَ آتٍ إِلَى صَـدَدٍ[3] وَحَمَـاةُ وَبَيْرُوتَـةُ وسِبْرائِيمُ[4] التِي بَيْنَ أَرْضِ دِمَشْق وأَرْضِ حَمَاة، وَحَصْرَ تِيكُون[5] التِـي عِنْـدَ حُدودِ حَوْرَانَ[6]، وَتَكُونُ الحُدودُ مِنَ الْبَحْرِ إِلَى حَصَرَ عَيْنُونَ[7] فَتَكُونُ حُـدودُ دِمَشْق وَحُدودُ حَمَاةَ نَحْـوَ الشَّـمال، هَـذِهِ هِـيَ جِهَـةُ الشَّـمَالِ. وَتَكُـونُ جِهَـةُ الشَّرْقِ مِمَّـا بَـيْنَ حَـوْرَانَ وَدِمَشْـق وَمَـا بَـيْنَ جِلْعَـادَ وَأَرْضِ إِسْـرَائِيلَ[8] عِنْـدَ الأُرْدُنِ، وَيَكُونُ الأُرْدُنُ حُدُوداً إِلَى الْبَحْرِ الشَّرْقِي[9] عِنْدَ تَامَارَ[10]، هَـذِهِ هِـيَ جِهَةُ الشَّرْقِ.

---

(1) (البحر الكبير) هو البحر الأبيض المتوسط.

(2) (حثلون) الأرجح أنها مدينة (حتيلة) في الشمال الشرقي من طرابلس، وبذلك يكون (طريق حثلون) هو نفسه وادي (إليوثيروس) بين حمص والبحر المتوسط، ويسير فيه الآن خط للسكك الحديدية.

(3) (صدد) موقع على الحدود الشمالية لفلسطين، ولعلها هي نفسها (صدد) الحالية الواقعة إلى الجنوب الشرقي من حمص على الطريق من ربلة بالميرا .

(4) (سبرائيم) مدينة سورية قديمة، وربما كان موقعها الآن هو (خِرْبة سِبْرية)، وهي بين دمشق وحماه.

(5) (حصر تيكون) (حصر) كلمة عبرية، وتعني: حصن، أو قرية، و(حصر تيكون) قرية على حدود حوران، وتسمى في مواضع أخرى: (حصر الوسطى) أي القرية المتوسطة.

(6) (حوران) منطقة جبلية جنوب دمشق.

(7) (حصر عينون) = حصن العيون، أو قرية العيون؛ ويفترض بعض الباحثين فيما يدعى "جغرافية الكتاب المقدس+ أنها تشير إلى منابع نهر العاصي بسورية.

(8) (أرض إسرائيل) هنا قصد بها الجزء المسمى زمن انقسام "مملكة داوود+ ب(مملكة إسرائيل)؛ وتشغل الجزء الشمالي من أرض فلسطين.

(9) (البحر الشرقي) هو البحر الميت

(10) (تامار) هي تدمر وهي مدينة محصنة تقع على بعد (104 أميال) من الشمال الشرقي من دمشق

وَتَقِيسُونَ جِهَةَ الجَنُوبِ مِنْ تَامَارَ إِلَى مَاءِ مَرِيبَةَ فِي قَادَشَ[1] وَمِنَ النَّهْرِ إِلَى الْبَحْرِ الْكَبِيرِ، هَذِهِ هِيَ جِهَةُ الْيَمِينِ جَنُوباً. وَأَمَّا جِهَةُ الْغَرْبِ فَهِيَ الْبَحْرُ الْكَبِيرُ مِنَ الحُدودِ إِلَى مَاقُدَّام، وَأَنتَ آتٍ إِلَى حَمَاةَ...؛ فَتَقْسِمُونَ هَذِهِ الأَرْضَ لَكُمْ عَلَى حَسَبِ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ+[2].

حدود أرض الميعاد حسب نص حزقيال[3]

---

(1) (ماء مريبة) يعني: ماء المخاصمة؛ سمي بذلك؛ لأنه المكان الذي خاصم فيه بنو إسرائيل موسى وتدمروا عليه من أجل فقد الماء ، فضرب بعصاه الحجر فانفجر ماء، و(قادش) تعني: المكان المقدس، وهي هنا المنطقة التي تحوي عين ماء مريبة، وتقع في صحراء سينا حيث قضى بنو إسرائيل مدة التيه.

ملحوظة: اعتمدت في شرح وتحديد هذه الأماكن الجغرافية في النصوص على:

1- "دائرة المعارف الكتابية+ تحرير: الدكتور القس منيس عبد النور، وآخرين.

2- "قاموس الكتاب المقدس+ ترجمة و تأليف الدكتور جورج بوست.

(2) سفر حزقيال: 47/ 13-21. من (نسخة الرهبانية اليسوعية)، أخذ هذا النص من النسخة اليسوعية دون بقية النصوص الكتابية؛ التي اعتمدت فيها جميعها على نسخة فاندايك والبستاني؛ لأن النص منغلق المعنى في نسخة فاندايك.

(3) مصدر الخريطة: "كتاب أطلس الأديان+؛ لسامي بن عبد الله المغلوث، ط. مكتبة العبيكان، الطبعة.1، الرياض (1428هـ/ 2007م)، ص:75 .

ومن النصوص ما يحصر الأرض الموعودة في كنعان فقط؛ كما في سفر التكوين خطاباً لإبراهيم: "وَأُعْطِي لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ، كُلَّ أَرْضِ كَنْعَانَ مُلْكًا أَبَدِيًّا+[1].

وفي سفر التثنية بيان لحدود كنعان هذه؛ فحين صعد موسى "بأمر الرب+ إلى جبل النبو[2] المطل على أرض كنعان، "أَرَاهُ الرَّبُّ جَمِيعَ الأَرْضِ مِنْ جِلْعَادَ إِلَى دَانَ، وَجَمِيعَ نَفْتَالِي وَأَرْضَ أَفْرَايِمَ وَمَنَسَّى، وَجَمِيعَ أَرْضِ يَهُوذَا[3] إِلَى الْبَحْرِ الْغَرْبِيِّ، وَالْجَنُوبَ وَالدَّائِرَةَ بُقْعَةَ أَرِيحَا مَدِينَةِ النَّخْلِ، إِلَى صُوغَرَ[4]، وَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: هذِهِ هِيَ الأَرْضُ الَّتِي أَقْسَمْتُ لإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ قَائِلاً: لِنَسْلِكَ أُعْطِيهَا+[5].

وبعض النصوص تجعل مساحة الأرض لا تتجاوز مد البصر من الجهات الأربع وهي مساحة صغيرة بالمقارنة مع مساحة الأرض الموعود بها في النصوص الأخرى؛ فقد "قَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ..: ارْفَعْ عَيْنَيْكَ وَانْظُرْ مِنَ

(1) سفر التكوين: 17/ 8.

(2) (نبو) كلمة سامية قد تعني (مخبر) أو(مرتفَع) و (جبل نبو) الذي رأى موسى من فوقه أرض الموعد+، والذي فيه أيضاً مات ودُفن؛ والأرجح أنه جبل النبا على بعد نحو ثمانية أميال شرقي الأردن.

(3) (دان) و (نفتالي) و (أفرائيم) و (منسى) و (يهوذا) من الأسباط، واسم كل منهم عَلَم على سهم ذريته من الأرض بعد تقسيمها، وكلها واقعة داخل أرض فلسطين.

(4) (صوغر) بلدة تقع عند الطرف الجنوبي الشرقي من البحر الميت.

(5) سفر التثنية: 34/ 1-4.

الْمَوْضِعِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ شمَالاً وَجَنُوبًا وَشَرْقًا وَغَرْبًا، لأَنَّ جَمِيعَ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ تَرَى لَكَ أُعْطِيهَا وَلِنَسْلِكَ إِلَى الأَبَدِ+[1].

فالأرض في هذا النص محصورة في حدود ما يستطيع إبراهيم أن يراه؛ ولن يكون ما يبلغه بصره إلا جزءا صغيرا من أرض كنعان، فضلا عن غيرها، إلا أن يكون ذلك على سبيل المعجزة، وهو ما لم يذكر في هذا النص ولا في غيره، ثم إن ادعاء المعجزة هنا سيجعل حدود الأرض الموعودة مفتوحة لتشمل العالم كله؛ إذ الله قادر على أن يزوي الأرض لإبراهيم فيراها بأسرها.

وبعضها يدخل مصر أو بعضها في "أرض الميعاد+؛ كالنص الأول، وفيه: "مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ نَهْرِ الفُرَاتِ+، فسواء فسر (نهر مصر) بالنيل أو بنهر العريش فبعض مصر داخل بهذا النص في "أرض الميعاد+.

بينما نجد من النصوص ما يخرج مصر كلية من "أرض الموعد"؛ كما "قَالَ يُوسُفُ لإِخْوَتِهِ: أَنَا أَمُوتُ، وَلكِنَّ اللهَ سَيَفْتَقِدُكُمْ وَيُصْعِدُكُمْ مِنْ هذِهِ الأَرْضِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي حَلَفَ [يعني أن يهبها] لإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ+[2]؛ فعبارة (يصعدكم من هذه الأرض إلى الأرض التي حلف لإبراهيم...إلخ) بينة الدلالة على خروج مصر من الأرض التي وعد بها الآباء. وأصرح منها عبارة (أرض ليست لهم) التي تشير إلى أرض مصر في قول "الرب+ "لأَبْرَامَ: اعْلَمْ يَقِينًا أَنَّ نَسْلَكَ سَيَكُونُ غَرِيبًا فِي أَرْضٍ لَيْسَتْ لَهُمْ، وَيُسْتَعْبَدُونَ لَهُمْ، فَيُذِلُّونَهُمْ أَرْبَعَ مِئَةِ سَنَةٍ+[3]، والأرض التي استعبد فيها بنو إسرائيل أربع مئة

(1) سفر التكوين: 13/ 14-17.

(2) سفر التكوين:50/ 24.

(3) سفر التكوين: 15/ 13.

سنة هي مصر؛ كما في سفر الخروج: "أَمَّا إِقَامَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّتِي أَقَامُوهَا فِي مِصْرَ فَكَانَتْ أَرْبَعَ مِئَةٍ وَثَلاَثِينَ سَنَةً+[1]؛ فالعبارة صريحة في أن مصر ليست من "الأرض الموعودة+.

هذا الاضطراب حول حدود الأرض انعكس على آراء اللاهوتيين اليهود، فاختلفوا في تعريفها وتحديدها.

أما قادة الحركة الصهيونية الذين لا يهمهم من هذه النصوص سوى ما يساند أهدافهم الاستعمارية والتوسعية فيعمدون إلى توظيف أوسع هذه النصوص نطاقا وأطولها حدودا؛ وهو النص الذي تمتد فيه الحدود من النيل إلى الفرات، فلهذا لم تختلف آراؤهم بشأن الحدود التي يأملون أن تبلغها أرض "إسرائيل+ بحدودها الموسعة المعبر عنها بـ "إسرائيل الكبرى+؛ كما يتضح من تصريحاتهم ومن رموز دولتهم.

فقد "تقدم عضو الوكالة اليهودية الحاخام يهوذا فيشمان [يعني للأمم المتحدة عام: 1947] بخريطة توضح حدود الدولة اليهودية التي يرى اليهود أن لهم الحق الكامل في استردادها تنفيذا لوعود التوراة ومشاريع هرتزل، ووقف فيشمان ليعرض حدود تلك الدولة التي تبدأ كما قال: "من مدينة الإسكندرية محيطة بمنطقة الدلتا غرباً في مصر، ثم تمتد جنوباً مع مجرى نهر النيل لتتجه شرقاً في خط مستقيم قاطعة الجزيرة العربية حتى محاذاة مصب نهر

(1) سفر الخروج: 12/ 40.

الفرات، حتى حدود تركيا لتصل إلى سورية، لتقفل الدائرة بعد ذلك بالحدود الشرقية للبحر الأبيض المتوسط++[1].

وقال موشي دايان: "إذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة .. إذن يجب علينا أن نملك كل الأرض التوراتية+[2].

و"الأرض التوراتية+ هي المعبر عنها بـ "إسرائيل الكبرى+؛ وتشمل كل بلاد الشام وأجزاء من مصر والسعودية والعراق والكويت..ويعبر عن هذا الطموح عَلَمهم بخطيه الأزرقين المشيرين إلى نهري النيل والفرات، والنجمة السداسية التي تتوسطهما، وترمز إلى مملكة داود، ونقشهم خريطة لـ"إسرائيل الكبرى+ على وجه عملتهم النقدية:

صورة للعملة النقدية "الإسرائيلية+ فئة (10 أغور وت).

(1) عبد العزيز مصطفى كامل؛ "حمى سنة 2000 : نظرات في مسيرة الصراع الديني ضد المسلمين+، من منشورات مجلة البيان ط.3، (دون تاريخ) ، ص:33-34.

(2) جريدة جيروزليم بوست: 10/ 08/ 1967، عن: فؤاد شعبان؛ "من أجل صهيون: التراث اليهودي المسيحي في الثقافة الأمريكية+، ط. دار الفكر، دمشق، (1424هـ/ 2003م)، ص: 318.

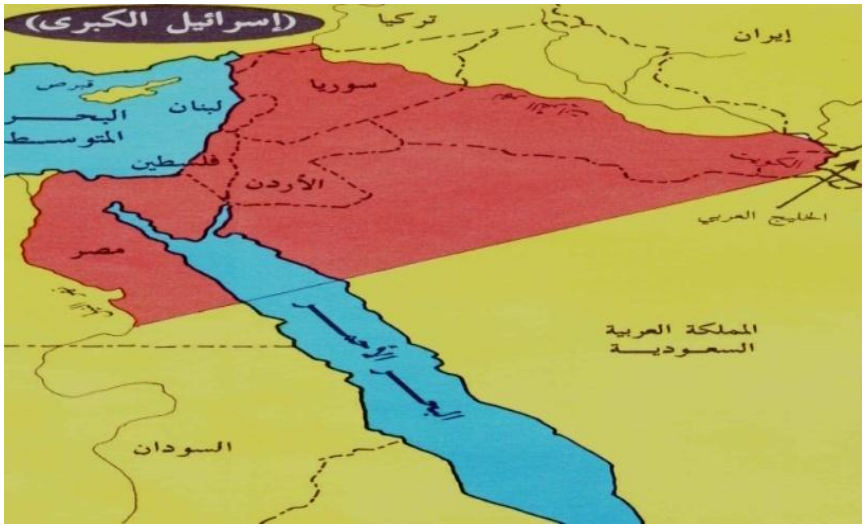

نطاق إسرائيل الكبرى+ التي يحلم بها الصهاينة[1].

❑ ❑ ❑ ❑

(1) مصدر الخريطة: موقع الملتقى الفلسطيني: www.fin3go.com .

المبحث الثاني

الصهيونية ودعوى الحق اليهودي في فلسطين

المطلب الأول: مفهوم الصهيونية ونشأتها بين اليهود

أولا: تعريف الصهيونية

لفظ (الصهيونية) في دلالته اللغوية: مصطلح منحوت من كلمة (صهيون)؛ وفي دلالة كلمة (صهيون) المعجمية خلاف؛ فقيل: إنها لفظ "مشتق من الكلمة الحورية (صيا) التي تعني: قلعة، أو صخرة، أو مكاناً جافاً، أو ماءً جارياً+[1]، ويرى الدكتور جورج بوست أنها تعني: "الجبل المشمس أو الجاف+[2]، ويذكر عباس محمود العقاد أن "أكثر الشراح يرجحون أنها عربية الأصل..، وأنها من مادة الصون والتحصين+[3].

ويؤيد هذا المعنى الأخير أن اليبوسيين أنشأوا "قلعة حصينة لحماية مدينتهم [القدس] على هضبة في الجزء الجنوبي الشرقي من تلك المدينة كانوا يعرفونها باسم صهيون+[4]

---

(1) عبد الوهاب المسيري، "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية+، ط. دار الشروق، القاهرة، الطبعة.1، (1999م): 5/ 80.

(2) قاموس الكتاب المقدس: 2/ 23-24.

(3) الصهيونية العالمية، ط. دار المعارف، مصر، (2001)، ص: 11.

(4) شفيق مقار، "المسيحية والتوراة: بحث في الجذور الدينية لصراع الشرق الأوسط+، ط. رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ط.1، (1992م)، ص: 26.

وتطلق كلمة صهيون في النصوص التوراتية "على الجبل الشرقي في مدينة القدس+[1].

وهو الذي يشار إليه في العربية بـ (جبل المكبر) أو (جبل الزيتون)[2].

وقد "يراد بها أحيانا كل أورشليم+[3]؛ كما في هذا النص: "فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يُقَالُ لِأُورْشَلِيمَ: لاَ تَخَافِي يَا صَهْيُونَ+[4].

وينسب إليها بنو إسرائيل؛ فيقال: (بنو صهيون)[5].

و لـ (صهيون) - سواء عني بها كامل مدينة القدس أو جبل بها- في ذاكرة اليهود ووجدانهم منزلة لا تضاهيها منزلة أي بقعة أخرى في الأرض؛ فهي عندهم أقدس مكان في الوجود، لأن بها يقع مستقر "الإله+ ومسكنه حسب اعتقادهم؛ كما يقول كتابهم "المقدس+:

"رَنِّمُوا لِلرَّبِّ السَّاكِنِ فِي صَهْيُونَ+[6].

"فَتَعْرِفُونَ أَنِّيَّ أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ سَاكِناً فِي صَهْيُونَ جَبَلِ قُدْسِي+[7].

ولأن إليها وفيها سيكون "خلاصهم" في آخر الأيام؛ كما تنبأ لهم أشعيا في

---

(1) بيان نويهض الحوت، "فلسطين: القضية – الشعب – الحضارة+، ط. دار الاستقلال للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة.1، (1992م)، ص. 272.

(2) عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق: 5/ 80.

(3) جورج بوست، "قاموس الكتاب المقدس+: 2/ 24.

(4) سفر صفنيا: 3/ 16.

(5) انظر: سفر أرميا: 4/ 2، وسفر يوئيل: 2/ 23.

(6) سفر المزامير: 9/ 11.

(7) سفر يوئيل: 3/ 17.

قوله: "وَمَفْدِيُو الرَّبِّ يَرْجِعُونَ وَيَأْتُونَ إِلَى صَهْيُونَ+[1]، وقوله: "وَأَجْعَلُ فِي صَهْيُونَ خَلاَصاً لإِسْرَائِيلَ+[2]، ويَقصِد بـ (مفديي الرب) بني إسرائيل حين يخلصهم من الأسر ويجمعهم من "المنفى+، ويعيدهم إلى الوطن الذي أبعدوا منه.

وهذه القيمة الرمزية لـ (صهيون) في الوجدان اليهودي هي التي أوحت إلى المفكر اليهودي النمساوي نيثان بيرنباوم بأن ينحت منه مصطلح (الصهيونية) لأول مرة في أبريل 1890 في مجلة الانعتاق الذاتي؛ ليطلقه على المنظمة التي تسعى سياسيا وعمليا لتوطين اليهود في فلسطين[3].

وبما أن السعي إلى إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين لم يكن ينحصر في الأوساط اليهودية، وأن بواعث وأهداف ووسائل من يسعى لذلك من اليهود ومن غير اليهود شديدة التباين والتناقض؛ كان مصطلح (الصهيونية) مثارا للاختلاف الشديد في تحديد معناه، فاختلفت بشأنه التعريفات وتنوعت، باختلاف وتنوع الخلفيات والمشارب الفكرية، وتباين وجهات وزوايا النظر إلى الظاهرة الصهيونية عند من يتصدى لتعريفها.

ففي مادة (الصهيونية) بالمجلد الثاني من (موسوعة الصهيونية وإسرائيل) نقرأ ما يلي: "الصهيونية اسم أطلق عام 1890 على الحركة التي تهدف إلى

---

(1) سفر أشعيا: 35/ 10.

(2) نفسه: 46/ 13 .

(3) عبد الوهاب المسيري، "تاريخ الفكر الصهيوني: جذوره ومساره وأزمته+، ط. دار الشروق، القاهرة، الطبعة.1، (2010م)، ص: 26، و"موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية الموجزة+: 2/ 198.

عودة الشعب اليهودي إلى إسرائيل، ومنذ عام 1896 صارت الصهيونية تعني الحركة السياسية التي أسسها تيودور هرتزل+[1]، وهذا تعريف للصهيونية باعتبارها حركة سياسية منظمة، لا باعتبارها عقيدة وفكرة، ويعيبه مع ذلك انحيازه للأطروحة الصهيونية باستعماله مصطلح (الشعب اليهودي) الذي يوهم بالوحدة العرقية لليهود، وإطلاقه اسم (إسرائيل) على أرض فلسطين، إيحاء بأنها الوطن الطبيعي لهم.

ويقول مارك بروزونسكي الذي كان منخرطا بحماس في الحركة الصهيونية ثم تخلى عنها: "إنني أعتبر الصهيونية حركة سياسية توسعية استعمارية، أدت إلى خلق إسرائيل، وأنا أعتبر الصهيوني بأنه الذي يوافق على أعمال إسرائيل بصرف النظر عن مدى خطورة أو خطأ هذه الأعمال+[2].

وهذا التعريف يقدم الصهيونية على أنها حركة سياسية فقط لا على أنها عقيدة دينية كذلك ويُرجع المساعي الصهيونية إلى بواعث مادية (توسعية استعمارية)، ويتجاهل دوافعها الدينية ، غير أنه يتميز عن بقية التعاريف بالتفريق بين صهيونية ما قبل إقامة "إسرائيل+ وصهيونية ما بعدها؛ حيث أشار إلى الصنف الأول بالسعي إلى "خلق إسرائيل+، وإلى الثاني بالتعصب لها بعد قيامها.

---

(1) روجي جارودي، "فلسطين أرض الرسالات السماوية+، ترجمة قصي أتاسي، وميشيل واكيم، ط. دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق (1991)، ص: 184.

(2) جريس هالسل، "النبوءة والسياسة+، ترجمة محمد السماك، ط. دار الشروق، القاهرة، الطبعة.2، (1424هـ/ 2003م).ص: 110.

وعلى النقيض من تعريف بروزونسكي، يقدم الحاخام موش ليفنغر تعريفا دينيا للصهيونية، بقوله: +الصهيونية هي الإيمان بالغيب، تتلاشى الصهيونية إذا فصلتها عن جذورها الإيمانية الغيبية، الصهيونية هي حركة لا تفكر على أساس عقلاني..؛ إنما على أساس الأوامر الإلهية+[1].

و يقدم الدكتور عبد الوهاب المسيري تعريفا مبدئيا للصهيونية، بأنها "حركة داخل التشكيل السياسي والحضاري الغربي تنظر إلى اليهود من الخارج باعتبارهم فائضاً بشرياً، فهم بقايا الجماعات الوظيفية اليهودية التي فَقَدت وظيفتها ونفعها، وتحوَّلت إلى شعب عضوي منبوذ، وفائض بشري لا نفع له.. يجب أن يُهجَّر.. إلى خارج أوربا في أي بقعة في العالم. (ثم تحدَّدت البقعة بفلسطين).. حتى يتم توظيفهم وتحويلهم إلى عنصر استيطاني قتالي؛ يقوم على خدمة المصالح الغربية.. نظير أن يضمن الغرب بقاءه واستمراره داخل إطار الدولة الوظيفية+[2]

وهذا التعريف صاغه الدكتور المسيري انطلاقا مما سماه (الصيغة الصهيونية الأساسية الشاملة)؛ وهي مصطلح قام بسكه للإشارة إلى الثوابت والمسلمات النهائية الكامنة في الاتجاهات الصهيونية كافة، مهما اختلفت دوافعها وميولها ومقاصدها وطموحاتها وديباجاتها واعتذارياتها؛ بحيث لا يمكن وصف أي قول أو اتجاه بأنه صهيوني إن لم يتضمن هذه المسلمات، فهي التي تُشكِّل الأساس الكامن للإجماع الصهيوني. وتتلخص الصيغة فيما يلي:

---

(1) نفسه، ص: 111.

(2) عبد الوهاب المسيري، "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية+ : 6/ 89-90.

أ) اليهود شعب عضوي منبوذ غير نافع، يجب نقله خارج أوربا ليتحوَّل إلى شعب عضوي نافع.

ب) يُنقل هذا الشعب إلى أي بقعة خارج أوربا (استقر الرأي، في نهاية الأمر، على فلسطين بسبب أهميتها الإستراتيجية للحضارة الغربية وبسب مقدرتها التعبوية بالنسبة للمادة البشرية المستهدفة) ليُوطَّن فيها وليحل محل سكانها الأصليين، الذين لابد أن تتم إبادتهم أو طَرْدهم على الأقل.

جـ) يتم توظيف هذا الشعب لصالح الغرب الذي سيدعمه ويضمن استمراره، داخل الدولة الوظيفية في فلسطين[1].

فاليهود حسب الدكتور المسيري نُظر إليهم في وقت ما في الغرب بوصفهم فائضا بشريا غير نافع، من بقايا (الجماعات اليهودية الوظيفية) في أوربا؛ التي أوكل إليها المجتمع القيام بوظائف خاصة لا يمكنه أن يزاولها؛ إما لكونها مشينة؛ كالتنجيم والربا..، أو لكونها متميزة وشاقة؛ كالطب والقتال..، أو لحساسيتها؛ كحراسة الحاكم والتجسس.. ولكن مع حلول عصر النهضة، فقدت هذه الجماعات وظيفتها، وتحولت إلى شعب عضوي منبوذ (والشعب العضوي هو الشعب الذي يترابط أعضاؤه ترابط الأجزاء في الكائن العضوي الواحد، والذي تربطه رابطة عضوية بأرضه وتراثه)[2]، فبات اليهود يشكلون عبئا على الحضارة الغربية؛ مما استوجب التفكير في نقلهم إلى خارج أوربا، حيث يحولون إلى مادة بشرية نافعة، عبر عقد صامت لم يفصح عنه بين

(1) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية الموجزة:: 2/ 200.

(2) المسيري، "تاريخ الفكر الصهيوني+، ص: 634.

الحضارة الغربية وحركة منظمة يجب تأسيسها بين اليهود، يعهد إليها بدور تنفيذ خطة نقل وتوطين هذا الفائض البشري في مكان مناسب من العالم يتم اختياره، وكان موطن الاستيطان غير محدد في البداية؛ إذ تم اقتراح عدة بلدان؛ منها ليبيا، وشرق إفريقيا، والأرجنتين، وفلسطين، ولكن وقع الاختيار في نهاية الأمر على هذه الأخيرة لأهميتها الإستراتيجية عند الغرب، ولمكانتها الرمزية عند اليهود.

والنفع الذي سيحققه الغرب من نقل هذه الجماعات إلى المستوطن الجديد، هو توظيفها بعد تحويلها إلى دولة في خدمة المصالح الإستراتيجية الغربية في منطقة "الشرق الأوسط"، وأهمها: تفتيت الدول العربية التي تشكل وحدتها تهديدا لمصالح الغرب الحيوية.

هذا هو التحليل الذي يتبناه الدكتور عبد الوهاب المسيري - ملخَّصا- بشأن المشروع الصهيوني ودواعيه، وهو كما نرى طرح يستبعد أي تأثير للدين في القرار الغربي بشأن تبني المشروع الصهيوني[1].

ومن درس تاريخ نشأة الصهيونية بين مسيحيي الغرب، ووقف على بواعثها الدينية الخالصة، لا يسعه سوى الجزم بعدم صلاحية هذا التحليل لتفسير الموقف الغربي من المشروع الصهيوني، وليس يخفى على الدكتور عبد الوهاب المسيري التاريخ المذكور للصهيونية وجذورها الدينية في الغرب، ولكن إصراره على رفض الاعتراف بالخلفية الدينية للموقف الغربي من المشروع الصهيوني، وعلى أن يبعد نفسه عن دائرة "الذين يرون أن الصراع

(1) انظر نقد هذا الطرح في كتاب (أثر الدين في العلاقات الدولية) للمؤلف.

العربي/ الإسرائيلي صراع ديني+[1]، ربما يكون راجعا إلى حرصه –كما يقول عنه بعض منتقديه– على "إزاحة العقائد من أنموذجه ومنهجه+[2]، وهذا ليس ببعيد عنه، وهو الذي أعلن في الجزء المخصص للتعريف بالموسوعة أن كتابات كارل ماركس "من أهم الكتابات التي ساعدت على تشكيل مرجعيتي والمنهج التحليلي الذي أتبناه+[3]؛ فكان من الطبيعي أن يبحث عن تفسير غير التفسير الديني لتبني الغرب للصهيونية.

وكان التفسير البديل هو أن الحركة الصهيونية أنشئت بدوافع استعمارية، في سياق الاندفاع الغربي للاستيلاء على مزيد من بلدان العالم، الذي تزامن مع الرغبة في التخلص من عبء يهود أوربا الشرقية، فنشأت فكرة توظيفهم في إنشاء جيب استيطاني تابع وخادم للغرب.

ولكن إذا كان المنطق الاستعماري الغربي الذي نشأت في سياقه الحركة الصهيونية ينبني فيما ينبني عليه على إنشاء مناطق استيطانية، ونقل أصناف من المنحرفين، من "الفائض البشري غير النافع" لها، لتكون تابعة للغرب وخادمة لمصالحه ومعززة لنفوذه؛ كما "كان يتم نقل المساجين إلى أستراليا، وتوظيفهم هناك، بحيث يتحولون إلى عناصر صالحة؛ أعضاء في الحضارة التي نبذتهم ونقلتهم+[4]؛ فلماذا تم نقل اليهود دون غيرهم إلى فلسطين؟ وإذا كان الجواب

---

(1) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية الموجزة: 2/ 199.

(2) بهاء الأمير، "الوحي ونقيضه: بروتوكولات حكماء صهيون في القرآن+، ط. مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة.1، (2006)، ص: 729.

(3) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: 8/ 14.

(4) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية الموجزة: 2/ 201.

كما تقول (الصيغة الأساسية الشاملة)، أن اليهود تحولوا إلى "فائض بشري غير نافع+ مما استدعى "نقلهم خارج أوربا+ لتحويلهم إلى "مادة بشرية نافعة+؛ فما معنى أن تفقد الجماعات الوظيفية اليهودية وحدها وظيفتها، ويتحول أفرادها جميعا إلى "فائض بشري غير نافع+، وقد كان منهم العلماء والأدباء والأطباء والتجار والصناع والحرفيون[1]، ويقدمون مختلف الخدمات للمجتمع الذي يعيشون فيه كشأن كل الطوائف؟ وإذا صح أنهم تحولوا فعلا إلى عبء على الحضارة الغربية، وأن معدلات الكراهية ضدهم تصاعدت في الغرب مع حلول عصر النهضة، وتولدت عنها نزعة "خروجية تصفوية.. تطالب بإخراج اليهود من أوربا وتصفيتهم+[2] فلماذا لم ينقل سوى جزء يسير منهم؟ لماذا لم تنطبق هذه القاعدة على أغلبية اليهود الذين بقوا في دول الغرب، وهم أضعاف من تم نقلهم؟ ألم تكن الكراهية تطال جميع اليهود؟

ويردُ على هذا الطرح أيضا سؤال حول مغزى اختيار فلسطين دون غيرها من البلاد، ولكن المسيري حتى يدفع أي تشويش عن نظريته، سد المنفذ على من قد يعترض به؛ بادعاء أن الرأي قد "استقر.. في نهاية الأمر، على فلسطين بسبب أهميتها الإستراتيجية للحضارة الغربية، وبسبب مقدرتها التعبوية بالنسبة للمادة البشرية المستهدفة+[3]. وهو تعليل غير مقنع؛ لأن الدعوة إلى ضرورة تمكين اليهود من فلسطين دون غيرها تنفيذا

(1) ينظر بهذا الصدد: سعد البازعي، "المكون اليهودي في الحضارة الغربية+، ط. المركز الثقافي العربي، الطبعة.1، (2007)، ص: 35-271 .

(2) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية الموجزة: 2/ 201.

(3) نفسه: 2/ 200.

للوعود "الإلهية+ وتحقيقا للنبوءات التوراتية والإنجيلية، تـواردت في تصـريحات ونداءات الزعماء الغربيين منذ القرن السـادس عشـر؛ أي قبـل ظهـور النزعـة الإمبريالية في الغرب بثلاثة قرون.

أما مقولة (الدولة الوظيفية) الـتي نقـل إليهـا "الشـعب المنبـوذ+ لتوظيفـه داخلها لصالح الغرب، فقد ثبت عدم صحتها؛ لأن "إسرائيل+ باتـت كمـا هـو واضح عبئا استراتيجيا واقتصاديا وأخلاقيا على الغرب.

ثم إن مصالح الدول تختلف، بل كثيرا ما تتعـارض، ولا يمكـن الحـديث عن الغرب باعتباره كيانا واحدا له مصـالح موحـدة، حتـى يمكـن القـول بـأن الاختيار وقع على فلسطين "بسبب أهميتها الإسـتراتيجية للحضـارة الغربيـة+؛ فمن المعلوم أن الدول الغربية خاضت حروبـا طاحنـة فيمـا بينهـا في النصـف الأول من القرن العشرين بسبب تنازعها وتنافسها على مناطق النفوذ؛ فكيـف تتعارض مصالحها في كل المناطق وتتحد في فلسطين؟

التعريف الذي ترتضيه هذه الدراسة

ومحاولة لصياغة تعريف يحيط بالظاهرة من كل جوانبها ويربطها بسـياقها التاريخي والاجتماعي، ويراعي مختلف دوافعها ووسائلها وامتدادها في الـزمن، ويستحضر حقيقة أن تبني الغرب للمشروع الصـهيوني إنشـاء ومسـارا ينطلـق من بواعث دينية بالأساس، أرى أن تعرف الصـهيونية بأنهـا: **(فكـرة وحركـة قومية دينية إجلائية استيطانية، مرتبطة بالحضارة الغربية نشأة وواقعا ومصيرا،**

تهدف إلى إنشاء دولة لليهود في فلسطين، وتجميعهم فيها، والعمل على بقاء هذه الدولة، وتهويدها، وتوسيعها جغرافيا، وتنميتها ديموغرافيا)[1].

وهو في تقديري تعريف يحيط بالظاهرة من زواياها المتعددة؛ وقد عمل على تحديد طبيعة الصهيونية أولا باستعمال ثلاث ثنائيات:

❶- ثنائية (**فكرة وحركة**) المشيرة إلى أن الصهيونية يجب النظر إليها باعتبارها (فكرة)، أي مذهبا وعقيدة؛ وهذه العقيدة هي الإيمان بوجوب تجميع اليهود في فلسطين وتمكينهم منها، بفعل بشري، دون انتظار لمعجزة سماوية، وهي عقيدة نشأت في الأوساط المسيحية قبل نشوئها بين اليهود بقرون؛ كما يجب النظر إلى الصهيونية باعتبارها (حركة)، أي تنظيما سياسيا يسعى لتجسيد هذه العقيدة في الواقع، وهي الحركة السياسية التي أنشأها تيودور هرتزل ورفقاؤه، وأعلنوا عن تأسيسها وبرنامجها السياسي في مؤتمر بازل بسويسرا عام 1897م.

❷- ثنائية (**قومية/ دينية**) التي تشير إلى أن الصهيونية فكرة وحركة (قومية) تمجد "العرق اليهودي+ المزعوم، وترفعه فوق بقية الأعراق،

---

(1) اعتمدت في صياغة هذا التعريف تعريف عبد الوهاب الكيالي وأصحابه في "موسوعة السياسة+، ط. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط.1، (1979): 3/ 659، بعد إدخال بعض التعديل عليه باستبعاد عناصر منه وإضافة أخرى، تماشيا مع ما يراه هذا البحث تصورا سليما للظاهرة الصهيونية، والصهيونية في تعريفهم: "دعوة وحركة عنصرية دينية استيطانية إجلائية، مرتبطة نشأة وواقعا ومصيرا بالإمبريالية العالمية، تطالب بإعادة توطين اليهود وتجميعهم، وإقامة دولة خاصة بهم في فلسطين، بواسطة الهجرة والغزو والعنف كحل للمسألة اليهودية+.

فالصهيونية في نسختها المسيحية البروتستانتية تمجد اليهود تأثرا بالتفسير الحرفي للعهد القديم الحافل بتقديس اليهود باعتبارهم "الشعب المختار+، وانخداعا بوهم الوحدة العرقية لليهود، وهي في نسختها اليهودية حركة قومية متأثرة بصعود النزعات القومية في أوربا خلال القرن التاسع عشر، فعملت على اختراع أسطورة "القومية اليهودية+، وصبغ نفسها بصبغة قومية، كما أن الصهيونية في أصل نشأتها بين المسيحيين البروتستانت عقيدة (دينية) تستند إلى التراث الديني اليهودي بالأساس.

❸- ثنائية (**إجلائية/ استيطانية**) التي تعني أن الصهيونية تؤمن بضرورة وحتمية (إجلاء) السكان الأصليين الذين لا قدسية لهم، ولا حق لهم في الأرض عن فلسطين، و(توطين) اليهود باعتبارهم الشعب المقدس صاحب الأرض في محلهم تحقيقا للوعود والنبوءات التوراتية، أو تنفيذا للمشروع الاستعماري للحركة (الهرتزلية).

ثم يذكر التعريف أن الصهيونية ليست فكرة أو حركة يهودية مستقلة تستطيع القيام والاستمرار بالاعتماد على مقوماتها الذاتية؛ بل هي مرتبطة ارتباطا كليا بالحضارة الغربية في نشأتها عقيدة وفكرة وحلما، وفي تجسدها في الواقع دولة، وفي مصيرها بقاء أو اضمحلالا؛ فهي قد نشأت في السياق الثقافي الغربي، وتحققت في الواقع على يد الغرب، ومصيرها رهين بمصير راعيها الغربي.

ثم أشار التعريف إلى هدف الصهيونية الذي يشكل ماهيتها، وهو السعي إلى تجميع اليهود وإقامة وطن قومي لهم في فلسطين، قبل

قيام "إسرائيل+، والعمل بعد قيامها على حفظ أمنها، لضمان بقائها واسمرارها وتهويدها؛ بما يتطلبه ذلك من تنمية للثقافة العبرية واليهودية، ومحو لمعالم الحضارة العربية والإسلامية والمسيحية، وطرد أو إبادة لغير اليهود من داخل الحدود المستولى عليها، والسعي لتوسيع حدودها الجغرافية حتى تستوعب كل الأرض الواقعة بين النيل والفرات، ودعم الهجرة اليهودية من بلاد العالم نحو "إسرائيل+ لتكثير سواد اليهود وتقويتهم ديموغرافيا فيها.

وكان إضافة عبارة (والعمل على بقاء هذه الدولة وتهويدها وتوسيعها جغرافيا، وتنميتها ديموغرافيا) في التعريف ضروريا لتمييز صهيونية ما بعد إقامة "إسرائيل+ عن صهيونية ما قبلها؛ لأن عبارة (السعي لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين) لم تعد صالحة لتعريف الصهيونية بعد قيام الدولة، إذ أصبح الصهيوني بعد ذلك هو من يدافع عن دولة "إسرائيل+، ويدعم أو يسعى لتهويدها، ويعمل على توسيع نطاق سيطرتها، ورفع نسبة سكانها اليهود.

إذ قد أصبحت أهداف الصهيونية بعد قيام "إسرائيل+ حسب ما جاء في قرارات المؤتمر الصهيوني 27 المنعقد بالقدس سنة 1968، وهي المسماة برنامج القدس، هي:

❶ وحدة "الشعب اليهودي+، ومركزية دولة "إسرائيل+ في حياته.

❷ تجميع "الشعب اليهودي+ في وطنه التاريخي "أرض إسرائيل+ عن طريق الهجرة من جميع البلاد.

❸ تدعيم دولة "إسرائيل+ القائمة على نبوءة الأنبياء.

❹ المحافظة على أصالة[1] "الشعب اليهودي+ بتطوير التربية اليهودية والعبرية، وبث القيم الروحية والتربوية اليهودية.

❺ الدفاع عن حقوق اليهود في جميع الأماكن التي "يقيمون+ فيها[2].

ثانيا: نشأة الصهيونية بين اليهود

يحكي سفر المزامير على لسان اليهود المنفيين إلى بابل قولهم: "عَلَى أَنْهَارِ بَابِلَ هُنَاكَ جَلَسْنَا، بَكَيْنَا أَيْضاً عِنْدَمَا تَذَكَّرْنَا صَهْيُونَ،...إِنْ نَسِيتُكِ يَا أُورْشَلِيمَ تُنْسَى يَمِينِي، لِيَلْتَصِقْ لِسَانِي بِحَنَكِي إِنْ لَمْ أَذْكُرْكِ، إِنْ لَمْ أُفَضِّلْ أُورْشَلِيمَ عَلَى أَعْظَمِ فَرَحِي+[3]، تبين هذه المقطوعة الشعرية أن الشوق إلى صهيون، والحنين إلى سكنى "أرض الميعاد+ وأورشليم، ظل يلهب خيال اليهود، منذ زمن السبي البابلي؛ لأنهم يعتقدون أن صهيون هي مسكن الرب، وأن "العبادة الحقة+ لا تكتمل إلا حيث يسكن الرب، أما الكنيس اليهودي في "المنفى+ فلا يمكن أن يملأ الفراغ الروحي الذي خلفه هدم الهيكل في القلوب، وإنما هو حل مؤقت في انتظار "العودة+ إلى "أرض الميعاد+ وإعادة بناء الهيكل.

يقول ديورانت: "إن الكنيس اليهودي لم يحل في قلب اليهودي محل الهيكل بكل معاني الحلول، بل ظل أمله في أن يقدم القربان ليهوه.. أمام قدس الأقداس على تل صهيون، يلهب خياله+[4].

---

(1) في الأصل: (المحافظة على خاصة الشعب..)، ولا معنى له، ولعل الصواب ما أثبته.

(2) المؤتمر الصهيوني 27، 1968، ج2، نشر مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ومركز الدراسات الفلسطينية والصهيونية بالأهرام، القاهرة، ط.1، (1971)، ص: 981.

(3) سفر المزامير: 137/ 1-6.

(4) قصة الحضارة: 14/ 77.

ومما يدل على وجود هذا الشوق لدى اليهود ما جرت به عادتهم؛ أن يقولوا في كل مرة "عندما يشربون نخب عيد الفصح: (العام القادم في أورشليم)+[1].

وأن عبارة (إن نسيتك يا أورشليم تنسى يميني) الواردة في النص السابق، عبارة طقسية، "تتكرر في صلواتهم ثلاث مرات كل يوم+[2].

غير أن "العودة+ إلى صهيون مشروطة في التقليد اليهودي بمجيء المسيح المنتظر، فلا يجوز التخطيط لها تخطيطا بشريا، ولا الإقدام عليها إلا بأمر من الله، وتحت قيادة المسيح؛ فمن مبادئ العقيدة اليهودية أن "الله وحده.. هو الذي يحكم على سلوك أبنائه اليهود، وهو وحده الذي يرى في مرحلة ما أنهم قد وصلوا إلى حد من المثالية الخلقية، مما يستدعي تصحيح العهد، فيرسل لهم مسيحا، ليخلصهم من الشتات، ويعيدهم إلى الأرض المقدسة+[3].

فلا يوجد حسب هذه العقيدة "سبب على الأرض – مهما تكن أهميته – يستدعي العودة إلى صهيون، إلا أن يكون السبب هو الأمر الإلهي..، فالعودة إن لم تقترن بالإرادة الإلهية بقدوم المسيح الجديد، هي عودة باطلة+[4].

ومن هذا المنطلق يرى اليهود الأرثوذكس – على شدة شوقهم إلى القدس–، "أن قيام إسرائيل.. قيام باطل؛ لأنه جاء بناء على قرار سياسي لا

---

(1) جودفري جانسن، "الصهيونية وإسرائيل وآسيا+، ترجمة راشد حميد، ط. مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، (1972)، ص: 21–22.

(2) نفسه، ص: 21.

(3) Berger Elmer, Memoirs of an Anti-Zionist Jew, p : 2، عن نويهض الحوت، "فلسطين: التاريخ– الشعب– الحضارة+، ص: 326–327.

(4) المرجع نفسه، عن نويهض الحوت، المرجع السابق، ص: 327

إلهي+[1]. وقد عبر عن هذا الموقف الحبر اليهودي (صدوق لوبين)، حين قال: "إن أورشليم أرفع الذرى الذي تتطلع إليها قلوب كل اليهود...، وإني لأتضرع إلى الرب.. أن يكون يوم الفداء آتيا، وإني لأنتظر بكل يقظة وقع أقدام مسيحه الذي وعدنا به، لكني حتى وإن عذبت بثلاثمائة قضيب محمي في النار، لن أتحرك من مكاني، ولن أصعد لأورشليم لصالح الصهيونيين+[2].

ويستند هذا الموقف إلى ما جاء في نبوءات العودة من ربط عودة الإسرائيليين من المنفى بمجيء المسيح؛ كما في هذا النص: "هَا أَيَّامٌ تَأْتِي يَقُولُ الرَّبُّ، وَأُقِيمُ لِدَاودَ غُصْنَ بِرٍّ فَيَمْلِكُ.. وَيَنْجَحُ، وَيَجْرِي حَقاً وَعَدْلاً فِي الأَرْضِ، فِي أَيَّامِهِ يَخْلُصُ يَهُوذَا وَيَسْكُنُ إِسْرَائِيلُ آمِناً..، لِذَلِكَ هَا أَيَّامٌ تَأْتِي يَقُولُ الرَّبُّ، وَلاَ يَقُولُونَ بَعْدُ: حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ الذِي أَصْعَدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، بَلْ حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ الذِي أَصْعَدَ وَأَتَى بِنَسْلِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ الشَّمَالِ وَمِنْ جَمِيعِ الأَرَاضِي التِي طَرَدْتُهُمْ إِلَيْهَا فَيَسْكُنُونَ فِي أَرْضِهِمْ+[3]؛ حيث جعل إقامة مُلك **(ابن داود)**، مقدما على جمع بني إسرائيل من الشتات، ففي أيامه وعلى يديه يتم الخلاص، **و(ابن داود): هو لقب المسيح المنتظر.**

وأصرح من هذا ما جاء في التلمود "أن الله استحلف الشعب اليهودي قبل أن ينفيهم من الأرض المقدسة ثلاثة أيمان:

---

(1) المرجع نفسه، ص: 3، عن نويهض الحوت، المرجع السابق.

(2) Isaac Domb. The Transformation. P :192 ، عن شفيق مقار، "المسيحية والتوراة: بحث في الجذور الدينية لصراع الشرق الأوسط+، ص: 158

(3) سفر أرميا: 23/ 5-8.

أولا: أن لا يتمردوا على شعوب العالم .

ثانيا: أن لا يحاولوا القتال من أجل تقصير مدة الشتات ليعودوا قبل ظهور المسيح .

ثالثا: أن لا يعودوا إلى الأرض قبل المسيح في جماعات أو بالقوة .

وبين الله لهم أن العقوبة ستقع على الذين ينقضون هذه الأيمان فقال: وإذا لم تحافظوا على هذه الإيمان الثلاثة : فسوف أبيح دماءكم كما أبحت دماء الغزلان في الغابات+[1].

التخلي عن عقيدة الانتظار

ولكن رواد الصهيونية الحديثة، أمثال يهوذا القلعي، وتسيفي هيرش، وليو بنسكر، وموشي هس، بخلفيتهم العلمانية والإلحادية، وبسبب من تأثرهم بالعقلانية الغربية، رأوا في هذه العقيدة عقبة أمام الأمل اليهودي في الخلاص وإقامة الدولة على أرض فلسطين، لاستعادة المجد الغابر؛ فدعوا إلى التخلي عنها، وأكدوا أن الخلاص لن يأتي بمعجزة سماوية، إن لم يبادر اليهود بجهودهم العملية والمالية إلى "استعادة وطنهم التاريخي+.

وقد ارتبطت بداية التحول لدى يهوذا القلعي بقصة الشائعة التي ذاعت في البلقان بأن سنة 1840، ستكون سنة الخلاص اليهودي ومجيء المسيح، فتعلق معظم اليهود بها، فنشأ القلعي يدعو اليهود إلى الاستغراق في الصلاة تمهيدا لتحقيق النبوءة، ولما فشلت النبوءة، ولم يظهر المسيح المخلص، تخلى القلعي عن عقيدة انتظار المسيح، وبات يدعو إلى التخلي عن تعليق الأمل

(1) محمد باخريبه، "الصهيونية بإيجاز+، ط. مكتبة م. فهد، ط.1، (2001)، ص: 1-2.

بالغيبيات، وسلوك درب العمل لتحقيق الخلاص[1]. ووضع كتابه: (اسمعي يا إسرائيل) واقترح فيه إقامة مستعمرات يهودية في فلسطين لكي تكون مقدمة للخلاص[2].

فانطلق يدعو الحكومات إلى السماح لليهود بتملك فلسطين، كما دعا اليهود بالتبرع لصالح "العودة+، وأسس جمعية للاستيطان في فلسطين، وبدأ في الترويج لفكرة الوحدة القومية لليهود[3].

أما كاليشر، فقد أعلن منذ الثلاثينات من القرن 19، أن استرداد صهيون لن يكون إلا بالجهد الإنساني الطبيعي، وأنه يجب على اليهود أن يبدأوا بالعمل على تحقيقه دونما انتظار لقدوم المسيح[4].

وأصدر كتبا لبسط هذه الأفكار، أشهرها كتاب (**البحث عن صهيون**) الذي ظهر عام 1862 [5].

وبخصوص قضية انتظار المسيح، فقد ركز على أن قوانين الله تتغيى اختبار الإنسان وامتحان قابليته للطاعة، وإذا ظهر المسيح، فإن اليهود جميعا سيتبعونه، مما يتنافى مع مبدأ الاختبار؛ "وبما أن ظهور المسيح لن يفسح المجال

---

(1) نويهض الحوت، "فلسطين: التاريخ- الشعب- الحضارة+، ص: 312.

(2) عبد الوهاب محمد الجبوري، "اللاسامية في الفكر الصهيوني: الجذور التاريخية والأهداف+"، ط. دار الجاحظ للنشر، بغداد (1982)، ص: 42-43.

(3) نويهض الحوت، المرجع السابق، ص: 313.

(4) عبد الوهاب محمد الجبوري، المرجع السابق، ص: 41.

(5) نفسه.

أمام اختبار اليهود، فإن على اليهود أن يقتنعوا نهائيا بأن (المسيح المخلص) لن يظهر، وعليهم أن يضعوا نهاية لانتظارهم له+[1].

وأسس جمعيات تعنى بالاستيطان، واتصل بأثرياء اليهود يحثهم على الإنفاق في دعم مشاريع الاستيطان في فلسطين[2].

وقد اتُّهِم كل من القلعي وكاليشر بالهرطقة، وقوبلت آراؤهما بالإنكار من قبل اليهودية الأرثوذكسية[3].

وكان الطبيب اليهودي الروسي (ليو بنسكر) في البداية من أشد المدافعين عن اندماج اليهود في مجتمعاتهم التي يتواجدون فيها، فكان من مؤسسي مجلة (الفجر) الذين يشجعون اليهود على التكلم بالروسية وتذوق الأدب الروسي؛ إلا أن الاضطرابات التي وقعت في أوستيا ضد اليهود سنة 1871، ثم ما لقوه من الاضطهاد على إثر اغتيال القيصر الروسي سنة 1881، الذي اتهموا فيه، جعلته يتحرر من أمل الاندماج اليهودي نهائيا، فراح ينادي في العواصم الأروبية بضرورة هجرة اليهود إلى بلد ما[4].

ولم يكن يحرص على أن تكون فلسطين هي بالضرورة الوطن القومي لليهود، وفي ذلك يقول: "إن هدف جهودنا الحالية، يجب ألا يكون الأرض

---

(1) نفسه، ص: 42.

(2) نويهض الحوت، المرجع السابق، ص: 315.

(3) نفسه.

(4) عبد الوهاب المسيري، "تاريخ الفكر الصهيوني+، ص: 283، ونويهض الحوت، المرجع السابق، ص: 321، وعبد الوهاب محمد الجبوري، المرجع السابق، ص: 29.

المقدسة، بل أرضا تخصنا وحدنا، فنحن لسنا بحاجة إلا إلى قطعة كبيرة من الأرض لأبناء قومنا، ربما تصبح الأرض المقدسة في وقت لاحق لنا+[1].

إلا أن الأكثرية اليهودية رفضت اقتراحه، ومع ذلك واصل مشواره فوضع كتابه الشهير (الانعتاق الذاتي)، وكرر فيه ما ذهب إليه القلعي وكاليشر من رفض الاعتماد على الإيمان الغيبي بالمسيح المنتظر؛ معللا رفضه بأن "الاعتقاد في المسيح المخلص، وفي تدخل قوة إلهية لكي تحقق لنا البعث السياسي..، أدى بنا إلى هجر كل فكرة تتعلق بتحررنا القومي+[2]، وذهب إلى أن الخلاص اليهودي لن يكون إلا يهوديا، وأن على اليهود أن يبادروا باتخاذ خطوات عملية لحل المسألة اليهودية، وتتلخص أفكاره في:

- أن اليهود ليسوا شعبا حيا، وأنهم غرباء في كل مكان، ولذلك فهم محتقرون.
- أن التحرر السياسي والمدني لليهود لم يكن ليرفعهم في تقدير الشعوب.
- الخلاص الوحيد هو بخلق القومية اليهودية لشعب يعيش على أرض تخصه وحده، فالتحرر الذاتي لليهود كشعب، لا يكون إلا بحصولهم على وطن لهم وحدهم.

---

(1) Leo Pinsker, Auto-Emancipation, p : 32، عن بيان نويهض الحوت، المرجع السابق، ص: 322، وجودفري جانسن، "الصهيونية وإسرائيل وآسيا+، ص: 52

(2) Leo Pinsker, Auto-Emancipation, p : 170، عن محمد خليفة حسن، "الحركة الصهيونية: طبيعتها وعلاقاتها بالتراث الديني اليهودي+، ط. دار المعارف، القاهرة، الطبعة.1، (1981)، ص: 89.

- أن الوقت الملائم للتحرر قد جاء.
- على الرغم من كون المسألة اليهودية مسألة عالمية، فإن حلها يجب أن يكون حلا قوميا، وعلى اليهود اتخاذ الخطوة الأولى بعقد مؤتمر يهودي عالمي.[1]

فتم له أن عقد مع من يتبنى أفكاره المؤتمر التأسيسي لجمعية أحباء صهيون عام 1884، واختاره الأعضاء المشاركون رئيسا لها[2]، وتشكل جمعية أحباء صهيون النواة الأولى لما سمي (الصهيونية العملية) التي تركز على الجهود العملية الذاتية لتهجير وتوطين اليهود في فلسطين، وترى - خلافا لهرتزل ومن معه ممن يتبنون ما سمي (الصهيونية السياسية) أن "النشاط الدبلوماسي اللاهث وراء وعود وضمانات دولية مضيعة للوقت+[3].

ولكن مساعي (أحباء صهيون) لم تكلل بالنجاح، بسبب النزاعات الداخلية بين من يريدها حركة دينية، وبين من يحرص على علمانيتها، إضافة إلى ضعف تنظيمها الناجم عن ضحالة شعبيتها، وضآلة مواردها؛ لعزوف فقراء اليهود عن الهجرة إلى فلسطين، وإمساك أثريائهم عن تمويل مشاريعها الاستيطانية[4]؛ مما قاد المفكر الصهيوني النمساوي نيثان بيرنباوم إلى استنتاج أن المساعي العملية لا تغني عن المساعي الدبلوماسية، وأن قيام المستعمرات

---

(1) Leo Pinsker, Auto-Emancipation, p : 41-42، عن بيان نويهض الحوت، المرجع السابق، ص: 322، و محمد خليفة حسن، المرجع السابق، ص: 91.

(2) عبد الوهاب المسيري، "تاريخ الفكر الصهيوني+، ص: 288، ونويهض الحوت، المرجع السابق، ص: 334.

(3) نويهض الحوت، المرجع السابق، ص: 331.

(4) نفسه، ص: 335.

من دون تأمين وجودها الاقتصادي والسياسي لا يكفي+[1]؛ فدعا سنة 1890 إلى "إقامة منظمة تضم الحزب القومي السياسي، بالإضافة إلى الحزب ذي التوجه العملي (أحباء صهيون)+[2]، وهي أول دعوة لما سمي فيما بعد بـ (الصهيونية التوفيقية) التي طالب أصحابها "الصهاينة العمليين والصهاينة الدبلوماسيين بمزج أساليبهم في العمل+[3].

وتمهدت بذلك الأجواء لظهور هرتزل، الذي سيحول الأفكار الصهيونية من عالم النظريات إلى حركة سياسية منظمة لها أهداف محددة.

صعود هرتزل

تيودور هرتزل

تيودور هرتزل صحفي يهودي نمساوي، ولد في مدينة بودابست سنة 1860 لعائلة يهودية ميسورة، ولم يتلق تعليما دينيا في صغره، باستثناء أربع سنوات من طفولته قضاها في مدرسة يهودية، وقد نبعت آراؤه وثقافته من

(1) نفسه، ص: 336.

(2) عبد الوهاب المسيري، "تاريخ الفكر الصهيوني+، ص: 26، و"موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية الموجزة+: 2/ 198.

(3) عبد الوهاب المسيري، "تاريخ الفكر الصهيوني+، ص: 213.

الروح السائدة يومئذ في أوروبا؛ وهي روح التنوير والاندماج اليهودي في الحضارة الألمانية.

انتقلت عائلته إلى فيينا سنة 1878، ودخل كلية الحقوق، وحصل على دكتوراه في التشريع الروماني، ولكنه لم يواصل اهتماماته في مجال القانون، بل تعاطى الكتابة الأدبية من رواية ومسرح..، وكان أول حدث بارز في حياته: تعيينه مراسلا أدبيا من باريس لجريدة هي أوسع الصحف النمساوية انتشارا، وهي جريدة (الصحافة الحرة الجديدة)، سنة 1891[1].

كان هرتزل إلى هذه المرحلة من حياته في عداد التيار الاندماجي، بل ذهب به التطرف في هذا المنحى إلى حد أنه كان لا يرى حلا للمسألة اليهودية إلا باعتناق اليهود للمسيحية اعتناقا جماعيا؛ حيث أكد في رسالة أصدرها عام 1893، "أن الحل الحقيقي والحاسم للمسألة اليهودية (وهي اضطهاد اليهود في شرق أوربا)، يمكن أن يتم فقط بذوبان اليهود تماما عن طريق اعتناق المسيحية والتزاوج+[2].

حادثة درايفوس

يُرجع كُتّاب حياة هرتزل تحوله من الحل الاندماجي إلى تبني الفكر الصهيوني، إلى تأثره العميق بقراءة كتاب يوجين دوهرنج: (الحالة اليهودية كمسألة عرْقية وأخلاقية وحضارية) عام 1882، الذي تحامل فيه على اليهود بكراهية شديدة[3]، ثم جاءت حادثة درايفوس الشهيرة التي اهتز لها هرتزل

(1) نفسه، ص: 309-311، و نويهض الحوت، المرجع السابق، ص: 340.

(2) جودفري جانسن، "الصهيونية وإسرائيل وآسيا+"، ص: 27.

(3) عبد الوهاب المسيري، "تاريخ الفكر الصهيوني+"، ص: 319

بعمق كما كان يقول[1]، لتلعب دور السبب المباشر في تحوله[2]؛ وهي حادثة اتهم فيها "الضابط الفرنسي اليهودي (ألفرد درايفوس) ببيع أسرار عسكرية حربية للملحق العسكري الألماني، فحكم عليه بالسجن المؤبد، وفي صباح 5 يناير 1895، وبينما كان درايفوس يمر أمام الصحفيين، وبينهم هرتزل، صاح: "عليكم أن تقولوا لفرنسا كلها: إنني بريء+، وفي الوقت نفسه كانت هتافات السخرية تتصاعد من الجماهير: "جبان، يهوذا، يهودي قذر، الموت لليهودي++[3].

فعزز ما سمعه في نفسه الشعور بمدى ما وصل إليه كره اليهود بين الأوربيين؛ حتى ظن "أن كل مكان فيه يهود، فيه معاداة للسامية+[4].

فراح ينادي بضرورة عزل اليهود في وطن خاص بهم؛ وكان مما قاله بهذا الصدد: "نحن يجب أن نطوف في أرجاء المعمورة كلها باحثين عن بقعة واحدة، لا يشتمُ فيها ولا يضطهد شعب الله التاريخي+[5].

وأصدر كتابه (دولة اليهود) شتاء عام 1896؛ وركز فيه على خطوتين أساسيتين:

---

(1) روجي جارودي، "إسرائيل بين اليهودية والصهيونية+، ترجمة حسين حيدر، ط. دار التضامن، بيروت، الطبعة.1، (1990) ، ص: 74-75.

(2) جودفري جانسن، المرجع السابق، ص: 44.

(3) Jean-Denis Bredin, The Affair: The Case of Alfred Dreyfus, pp : 4-5. عن نويهض الحوت، المرجع السابق، 341 .

(4) تيودور هرتزل، "دولة اليهود+، ص: 14، عن نويهض الحوت، المرجع نفسه ، ص: 342

(5) نويهض الحوت، المرجع نفسه ، ص: 342.

أولا: استصدار وعد دولي من دولة كبرى بمنح اليهود أرضا يقيمون عليها دولتهم؛ وفي هذه الخطوة يقول: "فلتعط لنا السيادة على قطعة أرض من المعمورة تكون كافية لتلبية الحاجات المطلوبة والمحقة لشعب+[1].

ثانيا: جمع الأموال من أثرياء اليهود، لإغراء تركيا مثلا ببيع فلسطين، ولإغراء الحكومات الأوربية بمساعدة حركته على مساعيها، عزف على وتر مصالحها الاستعمارية في فلسطين؛ فقال "فنحن هناك نؤلف جزءا من الاستحكام الأوربي ضد آسيا، وسنكون قاعدة أمامية للحضارة لمقاومة الهمجية+[2].

مؤتمر (بازل) وولادة الحركة الصهيونية

وفي مطلع عام 1897 بدأ التحضير الجدي للمؤتمر الصهيوني الأول، الذي سيعلن فيه عن تأسيس المنظمة الصهيونية، وقد تقرر في البدء عقده في ميونيخ بألمانيا، ولكن لما أرسلت دعوات الحضور الرسمية للشخصيات والهيآت اليهودية، ثارت ثائرتهم على الداعين إليه، واشتد إنكارهم له، ما بين من اعتبره خيانة، ومن اعتبره هرطقة؛ لمناقضته لعقيدة انتظار المسيح؛ وكان على رأس المعارضين للمؤتمر (جمعية الحاخامين الألمان)، فتقرر نقله إلى مدينة بازل بسويسرا؛ حيث انعقد المؤتمر برئاسة هرتزل في الفترة بين يومي 29 و

(1) دولة اليهود، ص: 28، عن نويهض الحوت، المرجع نفسه ، ص: 341.

(2) نفسه، ص: 30، عن نويهض الحوت، المرجع نفسه ، 341.

31 غشت 1897، وحضره حوالي 200 مندوب من الأعضاء اليهود[1]، وأعلنت فيه أهداف الصهيونية، التي عرفت بعد ببرنامج بازل، الذي يعد الالتزام به شرطا لمن يرغب أن يعد صهيونيا؛ ونص البرنامج كالتالي:

تسعى الصهيونية لإقامة وطن لليهود في فلسطين، معترف به وفقا للقانون العام، ولتحقيق هذا الهدف يتخذ المؤتمر الوسائل التالية:

❶- تعزيز الاستيطان في فلسطين باليهود المزارعين، والحرفيين، والمهنيين..

❷- تنظيم اليهود كافة، وتوحيدهم بواسطة إنشاء المؤسسات المحلية والعامة الملائمة، وفقا للقوانين السارية في كل بلد.

❸- تقوية الشعور اليهودي القومي، والضمير القومي.

❹- اتخاذ الخطوات التحضيرية للحصول على موافقة الحكومات التي يجب الحصول عليها لتحقيق هدف الصهيونية[2].

ثالثا: الاستغلال السياسي للدين في الخطاب الصهيوني

يكاد الدارسون المهتمون بتاريخ الفكر الصهيوني يتفقون على أن الحركة الصهيونية حركة قومية علمانية، لا صلة لها بالديانة اليهودية؛ ويستند هذا الحكم إلى:

---

(1) جودفري جانسن، المرجع السابق، ص: 32، ونويهض الحوت، المرجع السابق، ص: 347، وعلي المحجوبي، "جذور الاستعمار الصهيوني بفلسطين+، ط. دار سراس للنشر، تونس، (1990)، ص: 27، ودوغلاس ريد، "جدل حول صهيون+، ترجمة: غياث كنعو، ط. دار الحصاد، دمشق، الطبعة.2، (1998)، ص: 189.

(2) موسوعة الصهيونية وإسرائيل: 1/ 114، عن نويهض الحوت، المرجع نفسه، ص: 348.

أ- أن مَنْ أسَّس الحركة الصهيونية ومَن قادها في معظمهم ملاحدة، لا يؤمنون بأي دين.

ب- أن اليهود المتدينين عارضوا الفكرة الصهيونية بشدة.

ج- أن الصهاينة تخلوا عن عقيدة انتظار المسيح، استهزاء بها أو إنكارا لها؛ وهي فكرة جوهرية في العقيدة اليهودية.

د- أنهم لم يكونوا يحرصون على فلسطين وطنا قوميا لليهود، رغم مكانتها الرمزية في الديانة اليهودية.

فالصهيونية أسسها، و"قادها ويقودها أناس معظمهم ملاحدة+[1].

يذكر العالم والدبلوماسي الهندي (جودفري جانسن) في سياق حديثه عن توظيف الدين لدى الصهاينة، معلومات عن زعماء الصهيونية، يعتبرها "حقيقة مدهشة+، وهي: "أن غالبية هؤلاء الزعماء لم يؤمنوا ولم يمارسوا المعتقد اليهودي..، لقد كانوا.. يهودا مرتدين أو لا أدريين، إن لم يكونوا ملحدين+[2].

وفي كتابه الكبير (الفكرة الصهيونية) جمع آرثر هرتزبرج أعمال 37 من أعظم الصهيونيين نفوذا، مع نُبَذ من مواقفهم الدينية، تبين أن ما لا يقل عن واحد وعشرين منهم قد تركوا الديانة اليهودية، ومن بين هؤلاء معظم الصهيونيين المشهورين في التاريخ الصهيوني؛ أمثال موسى هس، وليو بنسكر،

---

(1) شفيق مقار، "المسيحية والتوراة+، ص: 435-436.

(2) جودفري جانسن، "الصهيونية وإسرائيل وآسيا+، ص: 29.

وتيودور هرتزل، وماكس نوردو، وآحاد هاعام، وأهارون غوردون، وحاييم وايزمان، ودافيد بن غوريون [1].

ويقرر الكاتب الفرنسي فكتور مالقا "أن مؤسسي دولة إسرائيل.. في أغلبيتهم من الدهريين العقلانيين الماركسيين+[2].

وأكد الدكتور المسيري المعطى نفسه وأسنده بوقائع من سلوك الصهاينة؛ إذ ذكر أن "الصهاينة العلمانيين هم مؤسسو المُستوطَن الصهيوني الحقيقيون، وهم صهاينة إلحاديون تماماً، وكان المستوطنون الأوائل ينظمون مسيرة كل عام للإعلان عن إلحادهم، وكان فريق منهم يحرصون على الذهاب إلى حائط المبكى في يوم الغفران (أكثر الأيام قداسة في التقويم الديني اليهودي)، ويلتهمون ساندوتشات من لحم الخنزير تعبيراً عن رفضهم اليهودية+[3].

ويعترف بعض رواد وقادة الصهيونية صراحة بتخليهم عن الدين؛ فهذا (موسى هس) الذي يعتبره (مارتن بوبر) بادئ الحركة الصهيونية[4]، يبوح في مذكراته بأن "الدين اليهودي والشرع الموسوي قد ماتا+[5].

---

(1) نفسه، ص: 29.

(2) فكتور مالقا، "مناحيم بيغن: التوراة والبندقية+، نقله عن الفرنسية عصام عسيران، ط. المكتبة الثقافية، بيروت (1979) ، ص: 184.

(3) عبد الوهاب المسيري، "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية الموجزة+: 2/ 206.

(4) عبد الوهاب محمد الجبوري، "اللاسامية في الفكر الصهيوني: الجذور التاريخية والأهداف+، ص: 29.

(5) نفسه، ص: 31.

وفي التعريف بهويته يقول هرتزل: "إنني لا أخضع لأي وازع ديني+[1].

ويقول: "إن المسألة اليهودية لا تعني بالنسبة لي مسألة اجتماعية، أو مسألة دينية..، إنها مسألة قومية+[2].

وتصرح جولدا مائير في مذكراتها، أنها تتبنى المبادئ الاشتراكية، ولا تؤمن بالتقاليد اليهودية؛ حيث ذكرت بمناسبة الحديث عن زواجها، أنها لما عزمت على عقد القران مع زوجها (موريس مايرسون)، ألحت عليها أمها أن يكون زواجا تقليديا، قالت مائير: "رغم أن مبادئنا الاشتراكية لا تؤمن به، وإزاء إلحاحها، تم القران التقليدي على يد الحاخام شونفيلد+[3].

والزواج التقليدي هو الذي تراعى فيه "أحكام الشريعة+، ويتم بإشراف الحاخام ومباركته[4].

ويُستدل أيضا على علمانية الحركة الصهيونية ومضادتها لليهودية، بالمعارضة الشديدة التي لاقتها من المنظمات الحاخامية، والهيئات اليهودية التقليدية؛ ففي الوقت نفسه الذي عُقد فيه المؤتمر الصهيوني الأول في بازل سنة 1897، عُقد مؤتمر يهودي مضاد للصهيونية مونتريال، وصدر عنه القرار الآتي: "إننا نرفض رفضا باتًا أي مبادرة ترمي إلى إنشاء دولة يهودية، فأي مبادرات من هذا القبيل تنم عن فهم خاطئ لرسالة إسرائيل...، إننا نؤكد أن

---

(1) روجي جارودي، "الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية+، ترجمة محمد هشام، ط. دار الشروق، القاهرة، الطبعة.2، (1419هـ/ 1998)، ص: 24.

(2) نفسه، ص: 26

(3) جولدا مائير، "حياتي+، ترجمه عزيز عزمي، بعنوان: (اعترافات جولدا مائير)، ط. مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر، القاهرة، (بلا تاريخ)، ص: 85.

(4) انظر: عبد الوهاب المسيري، "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية الموجزة+: 2/ 76.

هدف اليهودية ليس هدفًا سياسيًّا ولا قوميًّا، بل هو هدف روحي؛ فهي تتطلع إلى عصر ماشيحاني، يؤمن فيه الناس كافة أنهم ينتمون إلى جماعة واحدة كبرى، من أجل إقامة مملكة الرب على الأرض+[1].

وصدر رد الفعل نفسه عن منظمات يهودية أخرى؛ مثل (رابطة الحاخامات الألمان)، و(الاتحاد الإسرائيلي العالمي في فرنسا)، و(الاتحاد الإسرائيلي في النمسا)، فضلا عن الجمعيات اليهودية في لندن[2].

وقد تخلى الرواد الصهاينة كما سلف عن عقيدة انتظار المسيح، بل سخروا منها وعدوها من الأفكار المتخلفة، مع أنها فكرة جوهرية في عقيدة اليهود؛ مما يدل على تحررهم من أي التزام تجاه الديانة اليهودية.

ويدل أيضا على عدم اكتراث الصهاينة للعقيدة اليهودية، أنهم لم يكونوا حريصين على فلسطين وطنا قوميا لهم، رغم مكانتها الرمزية لدى اليهود.

فهرتزل مثلا "لم يكن محور اهتمامه هو الأرض المقدسة على وجه الخصوص، فقد كان يقبل أيضا، من أجل أهدافه القومية، أوغندا أو طرابلس، أو قبرص، أو الأرجنتين..، ولكنه إزاء معارضة أصدقائه من المتدينين اليهود، أصبح يعي أهمية "الأسطورة الجبارة++[3]، أي فلسطين "التي تشكل صيحة حشد ذات سطوة لا تقاوم+[4].

---

(1) المؤتمر المركزي للحاخامات الأمريكيين، الكتاب السنوي السابع، 1897، ص: 12، عن روجي جارودي، "الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية+، ص: 27-28.

(2) روجي جارودي، المرجع نفسه ، ص: 28.

(3) نفسه، ص: 25.

(4) هرتزل، "دولة اليهود+، ص: 45، عن ر. جارودي، "الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية+، ص: 25.

فهو لم يتحمس لمشروع فلسطين إلا بعد إدراكه أهميتها الروحية، وقدرتها من ثم على حشد وتعبئة اليهود لمشروعه.

وكان ماكس نوردو يقترح توطين اليهود في شرق إفريقيا، حتى لقب بـ (نوردو الإفريقي)، واقترح وايزمان توطينهم في أوغندا[1].

وبناء على أن مؤسسي وقادة الصهيونية علمانيون ملاحدة، لا يؤمنون بالديانة اليهودية، ولا يكنون لها أي احترام؛ فإن أي حديث منهم باسم العقيدة اليهودية، أو عن الحقوق التوراتية لليهود في فلسطين، يعد لدى النقاد تعاملا انتهازيا مع الدين، واستغلالا سياسيا له لخدمة المشروع الصهيوني.

وهذا هو الفيصل بين الاستغلال السياسي للدين وعدمه، فحينما نرى من السياسيين من يتحدث باسم الدين، أو يستدعي في خطابه مفاهيم أو نصوصا دينية، وهو لا يؤمن بها، فنحن أما التوظيف السياسي للدين.

ومن أبرز وجوه الاستغلال السياسي للدين في خطاب الحركة الصهيونية، استدعاؤها المفاهيم التوراتية حول الأرض، وحول ما تعتبره "الشعب اليهودي"، لترويج دعوى الحق الديني لليهود في أرض فلسطين، ولتعطي معنى لوجودها وتكسب ضمانا لبقائها؛ فإن بقاءها كما يؤكد بعض نقادها رهين بهذا التوظيف المخادع للمفاهيم التوراتية؛ يقول ناثان فانستوك في كتابه (الصهيونية ضد إسرائيل): "جرب أن تحذف مفاهيم (الشعب المختار)

(1) روجي جارودي، "إسرائيل بين اليهودية والصهيونية+، ترجمة حسين حيدر، ط. دار التضامن، بيروت، الطبعة.1، (1990)، ص: 74-75.

و (الأرض الموعودة)، [من الخطاب الصهيوني]، فسرعان ما ينهار أساس الصهيونية+[1].

وأكثر المفاهيم التوراتية ترددا في الخطاب الصهيوني، تلك المتعلقة بنبوءات الوعد بالأرض، والعودة إليها؛ فالمتتبع لتصريحات الصهاينة سيلحظ أنهم لا يملون من ترديد الادعاء بأن فلسطين هي أرض أجدادهم، "التي يزعمون أن الله الذي لا يؤمنون به منحهم إياها+[2].

المطلب الثاني: دعوى الحق اليهودي في أرض فلسطين ومستنداتها

أولا: الدعوى

يكاد اليهود يرفعون مكانة الإقامة في "أرض الميعاد+ فوق كل الشرائع والفرائض، وقد تضخم شأن الأرض المقدسة عندهم حتى أصبحت أحكامها فرعا كاملا في "الفقه+ اليهودي، وتخصصا لاهوتيا مستقلا "يسمى (لاهوت الأرض المقدسة)+[3]، وهي عندهم أرضٌ "تفوق في قدسيتها أيَّ أرض أخرى+[4]، كما يؤكد أحد علماء التلمود، وهو الحاخام ناثان حين قال: "لَيْسَ هُنَاكَ حِكْمَةٌ كَحِكْمَةِ أَرْضِ إِسْرَائِيلَ، وَلَيْسَ هُنَاكَ جَمَالٌ كَجَمَالِ الْقُدْسِ+[5] ويرون "أن تربة فلسطين طاهرة، وهم يدفنون "المتقين+ من موتاهم في أرض

---

(1) روجي جارودي، "فلسطين أرض الرسالات السماوية+، ص: 154.

(2) روجي جارودي، "محاكمة الصهيونية+، ترجمة عادل المعلم، ط. دار الشروق، القاهرة، الطبعة.4 (1422هـ/ 2002) ، ص: 28.

(3) عبد الوهاب المسيري؛ "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية+: 5/ 78.

(4) نفسه.

(5) التلمود البابلي، ترجمة وطبع مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان- الأردن، الطبعة.1، (2011): 20/ 103.

فلسطين منذ قديم الزمان، وإن لم يتيسر لهم ذلك، يضعون مع الكفن شيئًا من التراب الذي جلبوه[1] من فلسطين+[2] ويذكر التلمود أن "الْوَاحِدَ الْقُدُّوسَ..قَاسَ جَمِيعَ الْبُلْدَانِ، فَرَأَى أَنَّ الْبَلَدَ الْوَحِيدَ الذِي يَلِيقُ بِأَنْ يُعْطَى إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ هُوَ أَرْضُ إِسْرَائِيلَ+[3] ، كما يجعل التلمودُ الشخصَ اليهوديَّ "الذِي يَتَمَشَّى أَرْبَعَةَ أَذْرُعٍ فِي أَرْضِ إِسْرَائِيلَ عَلَى يَقِينٍ أَنَّهُ مِنْ أَبْنَاءِ الْعَالَمِ الْقَادِمِ (الآخرة)+[4]، ويُعْتَبَر "الشَّعْبُ السَّاكِنُ فِيهَا مَغْفُورَ الإِثْمِ+[5] عندهم، كما في سفر أشعيا، ويؤكد التلمود الحكم نفسه فيقول: "مَحْبُوبَةٌ أَرْضُ إِسْرَائِيلَ؛ لأَنَّهَا تُكَفِّرُ الْخَطَايَا وَالِانتِهَاكَاتِ+[6]، ويقول: "النَّاسُ الذِينَ يُقِيمُونَ فِي الدَّاخِلِ سَتُغْفَرُ خَطِيئَتُهُمْ+[7] ويرون أن من يعيش داخل إسرائيل فقط "يمكن اعتباره مؤمنا أما المقيم خارجها فهو إنسان لا إله له+، كما قال ابن جوريون[8]؛ لأن من عقيدتهم أن جبل صهيون الواقع في القدس، هو مسكن

---

(1) و"حتى الآن يرسل بعض أعضاء الجماعات اليهودية في العالم في طلب شيء من تراب الأرض [فلسطين] لينثر فوق قبورهم بعد موتهم+ ؛ المسيري، المرجع السابق: 5/ 78.

(2) ظفر الإسلام خان؛ "التلمود: تاريخه وتعاليمه+ ط. دار النفائس، الطبعة.6، (1405هـ/ 1985م)، ص: 72.

(3) أسعد زروق؛ "التلمود والصهيونية+، ط. دار الناشر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة.2، (1411هـ/ 1991م)، ص: 241.

(4) ظفر الإسلام خان، المرجع السابق، ص: 88.

(5) سفر إشعيا: 33/ 24.

(6) التلمود البابلي: 20/ 396.

(7) نفسه.

(8) عبد الوهاب المسيري؛ المرجع السابق: 5/ 78.

الـرب، كمـا جـاء في سـفر أشـعيا: "عِنْـدَ رَبِّ الْجُنُـودِ السَّـاكِنِ فِـي جَبَـلِ صَهْيُون+[1].

وقد فطنت الحركة الصـهيونية لهـذه المنزلـة الروحيـة الـتي تحتلـها أرض فلسـطين في الوجـدان اليهـودي، فاسـتغلتها لاسـتقطاب اليهـود لمشـروعها الاستعماري، فادعت أن الأرض التي يمكن أن يستقر فيهـا اليهـود، ويعيشـوا فيها حياة طبيعية تتلاءم مع قيمهم الروحيـة هـي فلسـطين، ونـادت بضـرورة تمكين اليهود منها، مدعية أن اليهود أينما كانوا من سلالة الإسـرائيليين الـذين عاشوا في الماضـي علـى أرض فلسـطين، وتملكوهـا تنفيـذا لوعـد الله آبـاءهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب بها، فلهم فيها كامل الحق تاريخيا ودينيا.

وقد تواردت على هذا الادعـاء تصـريحات الصـهاينة يهـودا ونصـارى؛ ومن تصريحاتهم التي تضمنت الدعوى المذكورة:

- قول ابن جوريـون أول رئـيس وزراء "إسـرائيل+ وهـو يخاطـب هيئـة الأمم المتحدة عام 1948: "قد لا تكون فلسطين لنا عـن طريـق الحـق السياسي أو القانوني، ولكنها حق لنا على أساس ديني؛ فهـي الأرض التي وعدنا الله، وأعطانا إياها من الفـرات إلى النيـل، ولـذلك وجـب على كل يهودي أن يهاجر إلى فلسطين، وأن كل يهودي يبقى خـارج إسرائيل بعد إنشائها، يعتبر مخالفاً لتعاليم التوراة، بل إن هذا اليهودي يكفر يومياً بالدين اليهود+[2].

---

(1) سفر أشعيا: 8/ 18.

(2) عابد توفيق الهاشمي؛ "عقيدة اليهود في تملك فلسطين+ ط . دار اقـرأ، الطبعـة.1، الـيمن (1412هـ / 1992م)، ص: 29.

- قول بيجال آلون نائب رئيسة مجلس الوزراء "الإسرائيلي+ سابقا (جولدا مائير): "جاء اليهود إلى البلاد لكي يستردوا الأرض التي يعتقدون أنها كانت أرض آبائهم، والأرض التي تعهد الله بها لهم ولذريتهم في العهد القديم المبرم قبل آلاف السنين بين الله وإبراهيم+[1].
- ما جاء في تصريح لرئيسة وزراء "إسرائيل+ سابقا جولدا مائير: "لقد قام هذا الوطن إنجازا لوعد قطعه لنا الله نفسه، ومن المضحك حقا أن يطلب أحد تبريرا شرعيا لوجود هذا الوطن+[2].
- ويقول مناحم بيجن: "لقد وعدنا بهذه الأرض، فلنا فيها ملء الحق+[3].
- وفي خطاب موجه لجمهور "إسرائيلي+ في ملعب ياد إلياهو بعد حرب 1967، قال موشي ديان: "ما دام عندكم كتاب التوراة، وما دمتم شعب التوراة، فيجب أن تكون لكم أرض التوراة، قد لا يكون هذا برنامجا سياسيا، لكنه أكثر أهمية؛ لأنه برنامج يحقق لشعبنا نبوءة الآباء+[4].
- وعلى إثر الاجتياح الصهيوني للبنان ظهر إسحاق شامير في 16يونيو 1982، على شاشة التلفزيون الفرنسي ليبرر العدوان قائلا: "نحن لن

(1) مجموعة من أساتذة اللاهوت؛ "إسرائيل في الكتاب المقدس+ ترجمة: حسني خشبة، ص: 9.
(2) روجي جارودي، "فلسطين أرض الرسالات السماوية+، ص: 154.
(3) نفسه.
(4) نويهض الحوت، "فلسطين: التاريخ- الشعب- الحضارة+، ص: 278.

نضم أراضي عربية محتلة، كيف نضم ما هو ثابت تاريخيا لنا ولأجدادنا؟ ولا أرى داعيا لتحديد حدود إسرائيل، إنها محددة في التوراة+[1].

- وقال حاييم وايزمان: "إن أساس وجودنا كله هو حقنا في إقامة وطن قومي فوق أرض إسرائيل، وهو حق نملكه منذ آلاف السنين، ومصدره وعد الرب لإبراهيم، وقد حملناه معنا في أنحاء العالم كله طوال حياة حافلة بالتقلبات+[2].
- وقال مؤسس (السفارة المسيحية الدولية)، وهي من منظمات الصهيونية المسيحية تأسست عام 1980، بحضور أكثر من ألف رجل دين مسيحي يمثلون 23 دولة، ويوجد مقرها الرئيسي بالقدس المحتلة، قال مؤسسها معبرا عن هويتها: "نحن صهاينة أكثر من الإسرائيليين أنفسهم [وإن] القدس هي المدينة الوحيدة التي تحظى باهتمام الله، وإن الله قد أعطى هذه الأرض لإسرائيل إلى الأبد+[3].
- وجاء في بيان هذه المنظمة بعد مؤتمرها الأول، الذي حرصت على عقده في القاعة نفسها التي عقد فيها هرتزل قبل أربعين عاما المؤتمر الأول للحركة الصهيونية: "إن حق إسرائيل في كل فلسطين، هو "حق توراتي"، وإن على العرب توطين الفلسطينيين في الدول العربية،

(1) عبد الوهاب زيتون، "الحروب الصليبية هل انتهت؟+، ص: 10.

(2) عبد الوهاب المسيري، "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية+: 6/ 78.

(3) يوسف الحسن، "جذور الانحياز+، ص: 82.

ودعت مجلس الكنائس العالمي في جنيف إلى الاعتراف بالصلة التوراتية التي تربط بين الشعب اليهودي وبين "أرضه الموعودة++[1].

ثانيا: المستندات

تؤسس هذه الدعوى على مستندات أهمها المستندان: التاريخي والديني.

1- المستند التاريخي:

يقيم الصهاينة دعوى حق اليهود التاريخي في أرض فلسطين على ما تقرره مصادرهم الدينية والتاريخية من استيطان بني إسرائيل وآبائهم العبرانيين هذه الأرض في الماضي؛ فالعبرانيون - حسب أسفار اليهود- تواجدوا في أرض كنعان منذ أن هاجر إليها إبراهيم بعد أن فارق بلده الأصلي في "أور الكلدانيين+ بالعراق حوالي (3500.ق.م)[2]، إلى أن ألجأ القحطُ يعقوبَ وأبناءَه إلى مصر بعد أن مُكِّن ليوسف فيها، ثم عادوا إليها بعد خروجهم من مصر بقيادة موسى، ودخلوها "فاتحين+ - بعد التيه ، وموت موسى- تحت قيادة يشوع (يوشع بن نون)، واستمر وجودهم فيها زمن القضاة وعصر الملوك المتوج بمُلْك داود فسليمان، إلى أن انقسمت المملكة بعد موت سليمان إلى مملكة (إسرائيل) في الشمال، ومملكة (يهوذا) في الجنوب؛ لتكون البلاد عرضة للتدخل الخارجي المتمثل في الهجوم فالجلاء الآشوري ثم البابلي؛ وبعد فترة من الأسر البابلي سمح لهم الملك الفارسي (قورش) بالعودة إلى فلسطين وبناء الهيكل، فعاد بعضهم إلى الأرض فعاشوا فيها في غير استقرار حتى تم

(1) نفسه، ص: 83.

(2) صابر طعيمة؛ "التاريخ اليهودي العام+، ط. دار الجيل، ط.3، بيروت، (1411هـ/ 1991م) : 1/ 6

إجلاؤهم منها نهائيا على يد الرومان على دفعتين: مرة على يد القائد (تيتوس) عام: 70.م، ثم على يد (هادريانوس) سنة 135م[1].

2- المستند الديني:

أما دعوى الحق الديني في الأرض فيقيمونها على نصوص توراتية تتضمن ما يدعونه "الوعد الإلهي+ لبني إسرائيل وآبائهم بالأرض، وأخرى تتضمن نبوءات بعودتهم إلى الأرض بعد الشتات.

أ- وعد بني إسرائيل بالأرض

يندرج "الوعد بالأرض+ ضمن الميثاق الذي يعتقد اليهود أن الله أبرمه مع "شعبه المختار+ - بدءاً من إبراهيم الذي يصرون على نسبته إلى اليهودية؛ مع أن الديانة اليهودية إنما بدأت مع نزول التوراة على موسى، ﴿وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾[2] بقرون طويلة -؛ وهو ميثاق بينهم وبين "الرب+ بأن يكونوا "لَهُ شَعْبًا خَاصًّا فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ+[3]، على أن يسكن في وسط بني إسرائيل ويكون لهم إلها[4]، والارتباط بين الشعب و"الرب+ يقتضي الارتباط بين الشعب والأرض التي اختار "الرب+ في

(1) انظر تفاصيل الصراع اليهودي مع الرومان خلال الفترة (132 ق. م - 135 م) في جيمس وول ديورَانت، "قصة الحضارة+: 11/ 156-195.

(2) سورة آل عمران: 56.

(3) سفر التثنية: 14/ 2.

(4) سفر الخروج: 29/ 45.

اعتقادهم أن يقيم في وسطها[1]؛ وهي "أرض الميعاد+؛ فكان من مقتضيات الميثاق أن يعطى "الشعب المختار+ وعودا بتمليك الأرض.

وأول من تلقى الوعد بالأرض – حسب أسفارهم – إبراهيم؛ وذلك حين خاطبه الرب قائلا: "اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ... فَذَهَبَ أَبْرَامُ كَمَا قَالَ لَهُ الرَّبُّ... إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ... وَكَانَ الْكَنْعَانِيُّونَ حِينَئِذٍ فِي الأَرْضِ، وَظَهَرَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ وَقَالَ: لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ+[2].

وعندما وصل إلى الأرض المباركة، وافترق مع لوط[3]، قال له الرب: "ارْفَعْ عَيْنَيْكَ وَانْظُرْ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ شَمَالاً وَجَنُوبًا وَشَرْقًا وَغَرْبًا، لأَنَّ جَمِيعَ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ تَرَى لَكَ أُعْطِيهَا وَلِنَسْلِكَ إِلَى الأَبَدِ+[4]، وفي مناسبة أخرى "قَطَعَ الرَّبُّ مَعَ أَبْرَامَ مِيثَاقًا قَائِلاً: لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ، مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ+[5].

ولما كان إبراهيم دون المائة من عمره بسنة "ظَهَرَ [لَهُ] الرَّبُّ.. وَقَالَ..: أَنَا اللهُ الْقَدِيرُ؛ سِرْ أَمَامِي وَكُنْ كَامِلاً... وَأُثْمِرُكَ كَثِيرًا جِدًّا، وَأَجْعَلُكَ أُمَمًا،

---

(1) سفر العدد: 35/ 34، و سفر زكرياء: 2/ 10.

(2) سفر التكوين: 12/ 1-7.

(3) سبب فراقهما حسب سفر التكوين: 13/ 7-11 أنه "حدثت مخاصمة بين رعاة مواشي أبرام، ورعاة مواشي لوط، فقال أبرام للوط: لا تكن مخاصمة بيني وبينك، وبين رعاتي ورعاتك؛ لأننا نحن أخوان، أليست كل الأرض أمامك، اعتزل عني؛ إن ذهبت شمالا فأنا يمينا، وإن يمينا فأنا شمالا ... فاعتزل الواحد عن الآخر+.

(4) سفر التكوين: 13/ 14-15.

(5) نفسه: 15/ 18.

وَمُلُوكٌ مِنْكَ يَخْرُجُونَ... وَأُعْطِي لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ، كُلَّ أَرْضِ كَنْعَانَ مُلْكًا أَبَدِيًّا+[1].

وبعد إقامة الميثاق مع إبراهيم، ووعده بتمليك الأرض، انتقل ميراثه إلى ابنه إسحاق دون بقية إخوته (إسماعيل وأبناء زوجته قطورة) (!!)؛ فبعد موت الأب قطع الله العهد مع ابنه المستحق لميراثه (إسحاق)، ووعده بالأرض التي أقسم عليها لأبيه؛ وكان ذلك حين نزح عن الأرض التي يقيم فيها لمجاعة نزلت بها "إِلَى أَبِيمَالِكَ مَلِكِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، إِلَى جَرَار، وَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ وَقَالَ: لاَ تَنْزِلْ إِلَى مِصْرَ، اسْكُنْ فِي الأَرْضِ الَّتِي أَقُولُ لَكَ..، لأَنِّي لَكَ وَلِنَسْلِكَ أُعْطِي جَمِيعَ هذِهِ الْبِلاَدِ، وَأَفِي بِالْقَسَمِ الَّذِي أَقْسَمْتُ لإِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ+[2].

ثم انتقل الميراث من إسحاق إلى ابنه يعقوب وذريته دون أخيه (عيسو) (!!)؛ فبعد موت إسحاق قطع الله معه العهد، ووعده بالأرض؛ فقال: أُمَّةٌ وَجَمَاعَةُ أُمَمٍ تَكُونُ مِنْكَ، وَمُلُوكٌ سَيَخْرُجُونَ مِنْ صُلْبِكَ، وَالأَرْضُ الَّتِي أَعْطَيْتُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ، لَكَ أُعْطِيهَا، وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أُعْطِي الأَرْضَ+[3].

وحين كان بنو إسرائيل بمصر قال يعقوب ليوسف: "اللهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ظَهَرَ لِي فِي لُوزَ، فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، وَبَارَكَنِي، وَقَالَ لِي: هَا أَنَا أَجْعَلُكَ

(1) نفسه: 17/ 1-8.

(2) نفسه: 26/ 1-4.

(3) نفسه: 35/ 11-12.

مُثْمِرًا وَأُكَثِّرُكَ، وَأَجْعَلُكَ جُمْهُورًا مِنَ الأُمَمِ، وَأُعْطِي نَسْلَكَ هذِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِكَ مُلْكًا أَبَدِيًّا+[1].

ولم يرد بعدَ وعد يعقوب ونسله بالأرض ما يخرج بعض أبنائه من الميثاق، ليخص به بعضهم أو واحدا منهم؛ كما هو الشأن مع أبناء إبراهيم وإسحاق؛ لهذا أمر "الرب+ موسى: أن "قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: أَنَا الرَّبُّ. وَأَنَا أُخْرِجُكُمْ مِنْ تَحْتِ أَثْقَالِ الْمِصْرِيِّينَ...، وَأُدْخِلُكُمْ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي رَفَعْتُ يَدِي أَنْ أُعْطِيَهَا لإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ. وَأُعْطِيَكُمْ إِيَّاهَا مِيرَاثًا+[2]؛ فأثبتت الأسفار اليهودية استحقاق الأرض لكل أبناء إسرائيل بمن فيهم أبناء "بلهة+ و"زلفة+ جاريتي زوجتي يعقوب: "ليئة+ و"راحيل+؛ وهم: (دان، ونفتالي، وجادا، وأشير)

ب- نبوءات عودة بني إسرائيل إلى الأرض بعد الجلاء

مما يقيم عليه الصهاينة عوى "الحق الديني+ لليهود في الأرض المقدسة؛ ما ورد في مواضع من أسفار العهد القديم من التنبؤ بجمع بني إسرائيل من بين الأمم التي شتتوا فيها، وإعادتهم إلى الأرض التي أُجْلِي منها آباؤهم، وقد فسرت الصهيونيةُ التجمعَ الحالي لليهود في أرض فلسطين بأنه تحقيق لإرادة الله المجسَّدة في تلك النبوءات.

ومن نبوءات العودة: ما ورد في سفر التثنية أن "الرب+ خاطب (شعب إسرائيل) قائلا: إذا "رَجَعْتَ إِلَى الرَّبِّ إِلهِكَ، وَسَمِعْتَ لِصَوْتِهِ حَسَبَ كُلِّ مَا

(1) نفسه: 48/ 3-4.

(2) سفر الخروج: 6/ 6-8 .

أَنَا أُوصِيكَ بِهِ الْيَوْمَ، أَنْتَ وَبَنُوكَ، بِكُلِّ قَلْبِكَ وَبِكُلِّ نَفْسِكَ، يَرُدُّ الرَّبُّ إِلهُكَ سَبْيَكَ وَيَرْحَمُكَ، وَيَعُودُ فَيَجْمَعُكَ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ بَدَّدَكَ إِلَيْهِمِ الرَّبُّ إِلهُكَ...، وَيَأْتِي بِكَ الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي امْتَلَكَهَا آبَاؤُكَ فَتَمْتَلِكُهَا، وَيُحْسِنُ إِلَيْكَ وَيُكَثِّرُكَ أَكْثَرَ مِنْ آبَائِكَ+[1].

ومنها ما جاء في دعاءٍ "للنبي" نحميا؛ يدعو فيه ربه أن يفي بوعده الذي وعد فيه بإرجاع بني إسرائيل إلى الأرض بعد الشتات: "اذْكُرِ الْكَلاَمَ الَّذِي أَمَرْتَ بِهِ مُوسَى عَبْدَكَ قَائِلاً: إِنْ خُنْتُمْ فَإِنِّي أُفَرِّقُكُمْ فِي الشُّعُوبِ، وَإِنْ رَجَعْتُمْ إِلَيَّ وَحَفِظْتُمْ وَصَايَايَ وَعَمِلْتُمُوهَا، إِنْ كَانَ الْمَنْفِيُّونَ مِنْكُمْ فِي أَقْصَاءِ السَّمَاوَاتِ، فَمِنْ هُنَاكَ أَجْمَعُهُمْ وَآتِي بِهِمْ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي اخْتَرْتُ لإِسْكَانِ اسْمِي فِيهِ+[2]،

ويريد ب (المكان المختار): أرض فلسطين التي تضم القدس حيث يقام الهيكل "مسكن الإله+ (!) حسب العقيدة اليهودية.

وفي وصية لطوبيت وجهها لابنه طوبيا حين أشرف على الموت؛- يعطي من نفسه مثالا "للمؤمن+ الموقن بأن كل ما تنبأ به الأنبياء سيحدث- أن "السَّاكِنِينَ فِي أَرْضِ إِسْرَائِيلَ سَيُحْصَوْنَ جَمِيعاً وَيُجْلَوْنَ عَنِ الْأَرْضِ ... ثُمَّ يَرْحَمُهُمْ اللهُ ثَانِيَةً فَيُعِيدُهُمْ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ، وَيَبْنُونَ بَيْتَهُ [الهيكل] ثَانِيَةً ... جَمِيعُ بَنِي إِسْرائِيلَ الذِينَ يَنَالُونَ الْخَلاصَ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ –لأَنَّهُمْ يَذْكُرُونَ اللهَ

(1) سفر التثنية: 30/ 1-5

(2) سفر نحميا: 1/ 8-9

بِحَقٍّ– يَجْتَمِعونَ وَيَأْتونَ إِلَى أُورْشَليمَ وَيسْكُنونَ لِلأَبَدِ فِي أَرْضِ إِبْرَاهِيمَ بِأَمَانٍ+[1].

وحكى سفر حزقيال عن الرب أنه وعد بني إسرائيل بالعودة من الأسر؛ قائلا: "الآنَ أَرُدُّ سَبْيَ يَعْقُوبَ، وَأَرْحَمُ كُلَّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ، وَأَغَارُ عَلَى اسْمِي الْقُدُّوسِ... عِنْدَ إِرْجَاعِي إِيَّاهُمْ مِنَ الشُّعُوبِ..، يَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُهُمْ بِإِجْلاَئِي إِيَّاهُمْ إِلَى الأُمَمِ، ثُمَّ جَمْعِهِمْ إِلَى أَرْضِهِمْ. وَلاَ أَتْرُكُ بَعْدُ هُنَاكَ أَحَدًا مِنْهُمْ+[2].

وجاءت هذه النبوءة في سفر إرميا في مواضع، منها نص يتنبأ فيه السفر بعودة الإسرائيليين إلى فلسطين بعد (70 سنة) من السبي؛ يقول النص: "قَالَ الرَّبُّ: إِنِّي عِنْدَ تَمَامِ سَبْعِينَ سَنَةً لِبَابِلَ، أَتَعَهَّدُكُمْ وَأُقِيمُ لَكُمْ كَلاَمِي الصَّالِحَ، بِرَدِّكُمْ إِلَى هذَا الْمَوْضِعِ [أورشليم]...، وَأَرُدُّ سَبْيَكُمْ وَأَجْمَعُكُمْ مِنْ كُلِّ الأُمَمِ وَمِنْ كُلِّ الْمَوَاضِعِ الَّتِي طَرَدْتُكُمْ إِلَيْهَا...، وَأَرُدُّكُمْ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي سَبَيْتُكُمْ مِنْه+[3]

و منها قول السفر: "هَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأَرُدُّ سَبْيَ شَعْبِي إِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأُرْجِعُهُمْ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَعْطَيْتُ آبَاءَهُمْ إِيَّاهَا فَيَمْتَلِكُونَهَا+[4].

❑ ❑ ❑ ❑

(1) سفر طوبيا: 14/ 3-4

(2) سفر حزقيال: 39/ 25-28

(3) سفر إرميا: 29/ 10-14

(4) سفر إرميا: 30/ 3

الفصل الثاني
دعوى الحق اليهودي في فلسطين
في ميزان النقد

- أدلة زيف الدعوى ومستنداتها
- أولا : الدليل التاريخي
- ثانيا : الدليل الديني
- ثالثا : الدليل الأنثروبولوجي

الفصل الثاني

دعوى الحق اليهودي في فلسطين في ميزان النقد

قد تروج فكرة استحقاق اليهود أرضَ فلسطين بناء على ما تقدم من "مستندات تاريخية ودينية+ – بل قد راجت فعلا – على الكثيرين، تأثرا بالدعاية الإعلامية القوية للحركة الصهيونية ومن يساندها، حتى سمعنا من أبناء العرب والمسلمين من يردد أن الأرض أرض اليهود، وأن الدليل التاريخي والديني لصالحهم، ولكن سرعان ما ينكشف زيف هذه الدعوى، وينهار صرحها حينما تعرض على موازين النقد العلمي المستند إلى حقائق التاريخ، وقواعد القانون، وأصول علم (الأنثروبولوجيا).

وفي هذا الفصل بيان للأدلة التي تكشف زيف هذه الدعوى، وتبين مبلغ الغفلة ممن انخدع بشبهات مدعيها؛ وقد انبنى نقد الدعوى المذكورة في هذا الفصل على ثلاثة أدلة:

أولا: الدليل التاريخي.

ثانيا: الدليل الديني.

ثالثا: الدليل الأنثروبولوجي.

المبحث الأول

الدليل التاريخي

ما من شك في أن بني إسرائيل قد استوطنوا أرض فلسطين مدة من التاريخ، ولا داعي لاستدعاء الأبحاث الأثرية لإثبات أو نفي هذا الاستيطان؛ إذ النزاع ليس حول استيطان بني إسرائيل لبعض فلسطين في الماضي، إنما النزاع حول شرعية احتلال يهود اليوم لهذه الأرض بناء على تواجد يهود بني إسرائيل فيها مدة من الزمن الماضي.

الصهاينة يزعمون أن التواجد الإسرائيلي على أرض فلسطين قديما، يسوِّغ لهم احتلالها حديثا، ونحن العرب والمسلمين نرى - ومعنا أهل الإنصاف من العلماء والمؤرخين الغربيين وغيرهم- أنه زعم باطل، وأن احتلالهم لأرض فلسطين لا شرعية له من الناحية التاريخية، للأسباب الآتية:

السبب الأول: أن الأرض باعتراف أسفارهم لها أهلها المالكون لها؛ وهم سكانها الأصليون من الكنعانيين وغيرهم؛ فليس الإسرائيليون ولا أجدادهم العبرانيون أولَ من استوطنها، وإبراهيم عليه السلام - وهو الجد الأعلى لبني إسرائيل - ليس من أهل البلاد، وإنما هاجر إليها كما يقرر القرآن والعهدان القديم والجديد، "لقد جاء العموريون إلى المدينة المقدسة قبل 4 أو 5 آلاف سنة، ثم جاء الكنعانيون..، وذلك قبل وصول العبرانيين بعدة قرون+[1].

(1) جريس هالسل، "النبوءة والسياسة+، ص: 70.

وبعد خروج بني إسرائيل من مصر، وعقابهم بسنوات التيه الأربعين، دخلوا الأرض "فاتحين+ تحت قيادة يشوع (يوشع بن نون)؛ فانتزعوا ما انتزعوا منها بالقوة من أهلها بعد أن "وعدهم الرب+ بأن يسحق سكان الأرض الأصليين ويطردهم من أمامهم[1]؛ ولهذا لما استشعر بعض الحاخامات وهو الحاخام (شلومو راشي) أن سكان الأرض الأصليين أولى بها وأحق من الغزاة الوافدين عليها، أدرك ضعف المستند التاريخي لدعواهم، ففزع إلى المستند الديني، فقال: "إذا قال الناس لليهود: أنتم لصوص؛ لأنكم غزوتم أرض إسرائيل، وأخذتموها من أهلها؛ فبإمكان اليهود أن يجيبوا بقولهم: إن الأرض مثل الدنيا، ملك الإله، وهو قد وهبها لنا+[2].

السبب الثاني: ما تقرر في قواعد القانون الدولي من سقوط الحق في الأرض بالتقادم:

مذ غادر بنو إسرائيل أرض فلسطين حين أجلاهم الرومان، وأنهوا وجودهم عليها نهائيا سنة 70م، ثم سنة 135م، لم يعودا إليها؛ بل تفرقوا في أنحاء الأرض أوزاعا، وطال عهدهم بالأرض جدا؛ حتى قامت الحركة الصهيونية وعملت على جلب بعض اليهود الحاليين – الذين لا يربط أغلبَهم أيُّ صلة بيهود بني إسرائيل – إلى أرض فلسطين؛ فلو اعتبرنا جدلا يهود اليوم إسرائيليين، فقد طال عهدهم بأرض فلسطين وسقط حقهم فيها بالتقادم بناء على ما تقرر في القانون الدولي: "أن ترك شعب لوطنه آلافا سحيقة من

(1) في سفر التثنية: 11/ 22-23 : "لأنه إذا حفظتم جميع هذه الوصايا التي أنا أوصيكم بها ... يطرد الرب جميع هؤلاء الشعوب من أمامكم، فترثون شعوبا أكبر وأعظم منكم+.

(2) عبد الوهاب المسيري، "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية+: 5/ 79.

السنين، لا يمكنه إلا أن يحرمه كل حق في المطالبة بالعودة إليه، بل إن الفقهاء الدوليين يسخرون من مجرد فكرة إعادة تشكيل الخريطة السياسية للعالم على أساس غزوات وهجرات وتوزيعات الماضي الغابر؛ الأمر الذي يمكن أن يقلب صورة الدنيا رأسا على عقب+[1]؛ وإلا لو كان الحق لا يسقط بالتقادم، لكان من حق كل قوم كان أجدادهم قد استوطنوا أرضا يوما ما أن يطالبوا بها، وأن يطالبوا بتهجير أهلها الحاليين منها؛ فمثلا إذا كان قادة الغرب مقتنعين باستحقاق اليهود الحاليين أرضَ فلسطين بناء على استيطان يهود بني إسرائيل إياها في الماضي؛ فهل يستطيعون الإقرار بحق العرب (بل والمسلمين) في شبه الجزيرة الأيبيرية وأجزاء من جنوب فرنسا وإيطاليا بناء على استيطان العرب لها لقرون كثيرة زمن الحضارة الأندلسية؟ وكذا بحق الأتراك في أجزاء من الهند والصين، وشرق أوروبا بناء على امتداد الإمبراطورية العثمانية مدة طويلة داخل حدودها؟

وإلى قاعدة سقوط الحق بالتقادم استند المؤرخ البريطاني المعروف (أرنولد توينبي) في رده على (ياكوف هرتزوج) سفير "إسرائيل+ بكندا في مناظرة جرت بينهما بقاعة (هيل) بمونتريال في كندا، يوم الثلاثاء 31 يناير 1961م، حول المذابح الصهيونية بفلسطين، ودعوى الحق التاريخي لليهود فيها[2].

---

(1) جمال حمدان، "اليهود أنثروبولوجيا+، تقديم عبد الوهاب المسيري، سلسلة تصدر عن دار الهلال القاهرة، العدد (542)، (فبراير 1996م)، ص:48.

(2) عرَّب هذه المناظرةَ عمرٌ الديراوي، وطبعتها دار العلم للملايين سنة 1981م، بعنوان: (فلسطين: جريمة ودفاع).

حيث قال السفير: "قد اقتبستْ الجرائدُ من حديث الدكتور قوله: لا حق تاريخيا لليهود في إسرائيل ... وسيسرني لو استطعت أن توضح لي وللسادة الحاضرين ما الذي كنت تعنيه بالعبارة التي اقتطفتها صحف مونتريال من حديثك؟

وبعد استطراد طويل حول التشابه بين الاضطهاد النازي لليهود والاضطهاد الصهيوني للفلسطينيين، لم يجب خلاله توينبي عن السؤال، عاد السفير وطرح السؤال مرة أخرى فقال: "والآن يا بروفيسور، دعنا نعود إلى العلاقة التاريخية؛ يقتبس الناس عنك ما قلته من أنه ليس لإسرائيل حق تاريخي؛ وأعني الشعب اليهودي في إسرائيل؛ فهل أذكر بعض الحقائق بهذا الخصوص؟:

- إن استمرار إقامة اليهود في أرض إسرائيل لم ينقطع في أي وقت من التاريخ، وبإمكاني أن أثبت ذلك من سجلات التاريخ قرنا فقرنا[1].
- إن العودة إلى إسرائيل كانت محورا رئيسيا في معتقدنا الديني، وكل ما يلهم شعورنا الوطني وفي صلواتنا أيضا...

(1) هذه مغالطة من السفير، أراد منها أن ينفي وصف التقادم عن الحق المزعوم؛ فإنه لا أحد يجادل في حق الأقلية اليهودية التي لم تغادر فلسطين في العيش فيها بوصفهم مواطنين فلسطينيين، وإنما نعارض احتلال فلسطين من قبل الصهاينة الوافدين من أنحاء العالم ممن لا يربطهم أي رابطة بأرض فلسطين، وهم معظم سكان الكيان الصهيوني، وإيغالا في التعمية استعمل مصطلح (الشعب اليهودي) الذي يوحي بأن جميع اليهود متشعبون من سلالة عرقية واحدة، وهو ما سيظهر بطلانه بعد صفحات.

وهكذا لا يغدو لك الحق في أن تقول بأن هذا الحق قد أصبح عتيقا باليا، عفا عليه الزمن منذ سنة 135م ...، إننا (اليهود) نشعر أن البعث الجديد لدولة إسرائيل الثالثة يتضمن خلود النبوءة، هذا هو تاريخنا طوال العصور.

لقد عبَرنا (وادي الهلاك)، وها نحن الآن بعناية الرب المقدسة قد بلغنا إلى جبال الموعد.

فرد البروفسور توينبي: "لقد أثار السفير قضيتين في هذه اللحظة:

الأولى: تتعلق بمزاعم أو "حق+ اليهود في فلسطين...

هناك أيها السفير شيء في القانون العام، وأظنه يتوفر في جميع فروع القانون، اسمه قانون التحديدات، وهو على أمل أن يخلق أقل كمية من الصعوبات والآلام؛ يقول: **تزول المطامع الشرعية بعد كذا وكذا من الوقت** .

وهكذا إذا أخذتَ سنة 135 بعد الميلاد؛ وهو الوقت الذي كان قد تم فيه اقتلاع جذور جماع السكان اليهود في فلسطين – ما عدا سكان بعض أقسام الجليل – على يد الرومان.. إذا أخذنا ذلك التاريخ، وقلنا: إن قانون التحديدات لا ينطبق على الشعب الذي فقد سيطرته [على الأرض] منذ سنة 135 بعد الميلاد؛ فقل لي بالله ماذا يحدث لمونتريال؟ لقد كانت للأنجلوكيين .. منذ أقل من 400 سنة؛ إن فترة زوالهم أقرب من الفترة منذ 135 بعد الميلاد، فهل تعود إليهم؟[1]

(1) هذا الرد من توينبي يفترض أن المجتمعين من اليهود حاليا بأرض فلسطين من سلالة يهود بني إسرائيل المطرودين منها في التاريخ المذكور؛ وهو ما سيتبين لاحقا أنه لا أساس له من الصحة.

السبب الثالث: أن يهود اليوم -كما سيتضح لاحقا- ليسوا من سلالة بني إسرائيل؛ بل هم من أصول جرمانية، وخزرية/ تركية، وفلاشية، ويمنية، وأمازيغية وأوربية ... فكيف يدَّعون أنهم عادوا إلى أرض أجدادهم، وهم لا علاقة لهم نسبيا ببني إسرائيل؟

❑ ❑ ❑ ❑

المبحث الثاني

الدليل الديني

يتألف هذا الدليل من ثلاثة اعتراضات على دعوى الصهيونية الحق الديني لليهود في أرض فلسطين:

الاعتراض الأول: **أن النصوص المتضمنة للوعد بالأرض والتنبؤ بالعودة إليها لا يُطمأن إلى صحتها وإلهية مصدرها**؛ فبعضها مشكوك في أصالته، وبعضها مقطوع بأنه مكذوب مختلق ودخيل على أسفار التوراة؛ ومما يدعو إلى الشك في صدورها عن الله، المآخذ الآتية:

المأخذ الأول: الشك في صحة وأصالة مصدرها ككل، وهو الكتاب "المقدس+ بعهديه؛ الذي لا يستجيب لشروط التوثيق العلمي؛ لافتقار أسفاره – كما هو معلوم – إلى السند المتصل من كاتبيها إلى من نسبت إليهم، ولضياع نسخها الأصلية باعتراف أصحابها، ولتعدد تراجمها واختلافها فيما بينها اختلافا يصل أحيانا إلى حد التناقض، ولتصريح القرآن المقطوع بإلهية مصدره – لتواتره وإعجازه – بوقوع التحريف في كتب اليهود والنصارى، ولما في نصوصها من التضارب والتناقض، ولمخالفة بعض أخبارها وأحكامها للبدهيات العقلية والحقائق العلمية والتاريخية والجغرافية..[1].

(1) للوقوف على تفصيل وأمثلة أدلة التحريف المذكورة، انظر:

ونقد أسفار الكتاب "المقدس+ بما يكشف بشرية مصدرها يتطلب طولا لا يناسب هذا المقام، وفي المراجع المحال إليها في الهامش ما يغني مطالعَها، وليُكتَف هنا بهذين المثالين الدالين على ما فيها من خلل لا يليق بالوحي الإلهي:

- رحمة الله بن خليل الهندي، "إظهار الحق+، دراسة وتحقيق وتعليق: د. محمد خليل ملكاوي، ط. الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، السعودية، (1410هـ/ 1989م)، ج 2، ص: 109، وما بعدها، وص: 168، وما بعدها، وص: 257، وما بعدها، وص: 429، وما بعدها.
- المبشر الإنجيلي سابقا محمد علي، "الأقوال الجلية في بطلان كتب اليهودية والنصرانية+، ط. مطبعة المنار، مصر، ط.1، (1999م)، ص: 42،
- حامد الجبوري، "التناقض في التوراة وأثره في الأعمال السلبية لليهود+، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، (2007)، ص: 117، وما بعدها.
- ابن حزم الأندلسي "الفصل في الملل والأهواء والنحل+، تحقيق إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، ط. دار الجيل ط.2، بيروت (1416هـ/ 1996م): 1/ 201، وما بعدها.
- علي الريس، "تحريف مخطوطات الكتاب المقدس+، ط. مكتبة النافذة، القاهرة، (بلا تاريخ)، ص: 38، وما بعدها.
- عبد الوهاب عبد السلام طويلة، "الكتب المقدسة في ميزان التوثيق+، ط. دار السلام، القاهرة، ط.2، (1423هـ/ 2002م)، ص: 91، وما بعدها.
- عبد الرزاق عبد المجيد ألارو، "مصادر النصرانية دراسة ونقدا+، ط. دار التوحيد للنشر، الرياض، الطبعة.1، (1428هـ/ 2007م)، ص: 231، وما بعدها.
- موريس بوكاي، "التوراة والإنجيل والقرآن والعلم+، ترجمة حسن خالد، ط. المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة.3، (1411هـ/ 1990م)، ص: 43، وما بعدها.
- بنديكتوس سبينوزا، "رسالة في اللاهوت والسياسة+، ترجمة حسن حنفي، ط. دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة.1، (2005)، الفصل الثامن: البرهنة على أن الأسفار الخمسة ليست صحيحة، ص: 257، وما بعدها.

❶ جاء في سفر التثنية: "فَمَاتَ هُنَاكَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مُؤَابَ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ، وَدَفَنُهُ فِي الْجَوَاءِ فِي أَرْضِ مُؤَابَ مُقَابِلَ بَيْتِ فَغُور، وَلَمْ يَعْرِفْ إِنْسَانٌ قَبْرَهُ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ+[1]

فهذا النص من سفر التثنية الذي يفترض - كما في اعتقاد ملايين من المسيحيين واليهود - أن كل كلمة فيه وحي أوحى الله به إلى موسى، يسجل مكان وفاة موسى ويتحدث عن انمحاء معالم قبره، بما لا يسع العاقلَ معه إلا أن ينفي كونه وحيا من الله إلى موسى، بل إن قوله: (وَلَمْ يَعْرِفْ إِنْسَانٌ قَبْرَهُ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ) دليل على أن أمدا بعيدا يفصل بين زمان موسى وزمان مؤلف السفر.

❷ يقول سفر التكوين: "وَصَعِدَ لُوطٌ مِنْ صُوغَرَ وَسَكَنَ فِي الْجَبَلِ، وَابْنَتَاهُ مَعَهُ؛ لِأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوغَرْ، فَسَكَنَ فِي الْمَغَارَةِ هُوَ وَابْنَتَاهُ، وَقَالَتْ الْبِكْرُ لِلصَّغِيرَةِ: أَبُونَا قَدْ شَاخَ وَلَيْسَ فِي الأَرْضِ رَجُلٌ لِيَدْخُلَ عَلَيْنَا كَعَادَةِ كُلِّ الأَرْضِ، هَلُمَّ نَسْقِي أَبَانَا خَمْراً، وَنَضْطَجِعُ مَعَهُ، فَنُحْيِي مِنْ أَبِينَا نَسْلًا، فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْراً فِي تِلْكَ اللَّيْلَة، وَدَخَلَت الْبِكْرُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَ أَبِيهَا، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلا بِقِيامِهَا، وَحَدَثَ فِي الْغَدِ أَنَّ الْبِكْرَ قَالَتْ لِلصَّغِيرَةِ: إِنِي قَدِ اضْطَجَعْتُ الْبَارِحَةَ مَعَ أَبِي، نَسْقِيهِ خَمْراً اللَّيْلَةَ أَيْضاً فَادْخُلِي اضْطَجِعِي مَعَهُ، فَنُحْيِي مِنْ أَبِينَا نَسْلاً؛ فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْراً فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَيْضاً، وَقَامَت الصَّغِيرَةُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَهُ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلَا بِقِيَامِهَا، فَحَبَلَت ابْنَتَا

(1) سفر التثنية: 34/ 5-6.

لُوطٍ مِنْ أَبِيهِمَا، فَوَلَدَتْ الْبِكْرُ ابْناً، وَدَعَتْ اسْمَهُ (مُؤاب)، وَهُوَ أَبُو الْمُؤابِيِّينَ إِلَى الْيَومِ، وَالصَّغِيرَةُ أَيْضاً وَلَدَتْ ابْناً، وَدَعَت اسْمَهُ (ابنَ عَمِي)، وَهُوَ أَبُو بَنِي عَمُّونَ إِلَى الْيَوْمِ+[1].

فهذه الحكاية الرديئة عن أصل وطريقة تولد المؤابيين والعمونيين من نسل نبي الله لوط، مما جاء في أسفار التوراة اليهودية منافيا لحقائق الدين والتاريخ وبدهيات معهود العوائد ومقررات سليم العقول؛ وضعها واضعها تحت تأثير التعصب العنصري ضد غير الإسرائيليين بهدف النيل من شرف ونسب المؤابيين والعمونيين؛ ووقوع الحكاية منافية لحقائق الدين والتاريخ وللعادة والعقل ظاهر من وجوه:

أولها: كذب ما نسب إلى ابنة لوط من خلو الأرض من الرجال غير الشاذين سوى أبيها؛ لأن الأرض التي كان فيها لوط بنص التوراة قريبة من مقام إبراهيم وذريته؛ إذ "ليس بين تلك المغارة التي كان فيها لوط عليه السلام مع بنتيه وبين قرية سكنى إبراهيم عليه السلام إلا فرسخ واحد لا يزيد، وهو ثلاثة أميال فقط+ [2].

ثانيها: نسبة إقرار الفاحشة لرسول من الرسل؛ إذ لو سلم أنه حصل منه ما ذكر في الحكاية مع ابنتيه حال سكره، "فكيف عمل إذ رآهما حاملتين؟ وإذ رآهما قد ولدتا ولدين لغير رشدة[3]؟ وإذ رآهما

(1) سفر التكوين: 19/ 30-38.

(2) أبو محمد بن حزم، "الفصل في الملل والأهواء والنحل+: 1/ 224.

(3) (ولد الرشدة): هو صحيح النسب، أو المولود من نكاح صحيح. المعجم الوسيط، مادة (رشد) بتصرف يسير.

تربيان أولاد الزنا؟ هذه فضائح الأبد، وتوليد الزنادقة المبالغين في الاستخفاف بالله تعالى وبرسله عليهم السلام+[1].

ثالثها: إحالة العادة بعض ما جاء في الحكاية؛ كتجرع لوط الخمر إلى حد السكر، ومواقعته للبنتين إلى الحد الذي يحصل معه الإخصاب، كل ذلك وهو نائم –كما يدل له سياق القصة–؛ فإنه يستحيل عادة أن يُجَرَّع النائم شرابا ويتجرعه دون أن يستيقظ، كما يستحيل أن يُمارَس معه الجنس إلى حد الإمناء دون أن يشعر.

وفي هذين المثالين كفاية لإثبات أن أسفار الكتاب "المقدس+ ليست كلها وحي من الله[2]؛ وإذا صح أن فيها بعضَ ما ليس من الوحي، تطرق منا الشك إلى جميعها، فيتطرق إلى نصوص الوعد احتمال أن يكون اليهود هم من أقحموها في كتبهم لتحقيق مطامعهم في الأرض.

المأخذ الثاني: أن الوعد بالأرض لم يتحقق لأهله:

فقد مات إبراهيم وإسحاق ويعقوب ولم يملكوا الأرض التي "وعدوا" بها؛ مع أنه قد قيل لكل منهم كما تقدم في نصوص الوعد:"**لك ولنسلك**

---

(1) نفسه.

(2) مع وضوح الكذب ومخالفة حقائق الدين والتاريخ وبدهيات العقل في كثير من نصوص الكتاب "المقدس"، يصر النصارى على اعتقاد عصمته، وإلهية مصدره كله؛ جاء في مقدمة طبعة النسخة اليسوعية من الكتاب "المقدس+: "والرهبانية اليسوعية إذ تقدم اليوم الكتاب المقدس هذا في نص حديث استوعب ما اكتسبته العلوم الكتابية منذ مئة سنة، وفي شكل جديد استفاد مما آلت إليه فنون الإخراج والطباعة في القرن العشرين؛ ترغب أن يزداد المؤمنون إقبالا على قراءة الأسفار المقدسة والتأمل فيها لأنها كلمة الله+. الكتاب "المقدس+، (النسخة اليسوعية) ط. دار المشرق، الطبعة.3، بيروت 1994م): 1/ 8.

أعطي هذه الأرض+؛ فإبراهيم بشهادة التوراة لم يملك من "الأرض الموعودة+ ولا موطئ قدم؛ وذلك أنه لما ماتت سارة لم يجد لها مدفنا حتى اشترى حقلا من عفرون بن صوحر رجل من بني حث[1]، فدفنها فيه؛ فهل كان إبراهيم سيعوزه إيجاد مدفن لميته، فيضطر إلى شرائه في أرض قد ملكه الله إياها "من النيل إلى الفرات+؟ لم أصر إبراهيم على دفع ثمن الأرض، لو أن الله ملكه إياها؟ أم أن مؤلفي التوراة قد نسوا ما خطته أيمانهم من الوعود بالأرض حين كانوا يؤلفون قصة موت سارة، ومعاناة إبراهيم لتوفير مكان لدفنها؟ يقال: (إذا كنت كثير الكذب فكن شديد الذكر) يعني: حتى لا يهدم آخرُ كلامك أولَه.

أما إسحاق ويعقوب فلم يرد قط في التوراة ولا في غيرها من مصادر التاريخ أنهما ملكا كامل أرض كنعان، فضلا عما بين النيل والفرات.

وليس لعدم تحقق الوعد للموعودين إلا تفسير منطقي واحد؛ هو أن الوعد لا يصح؛ لأن الله – بإجماع أهل الشرائع السماوية – لا يخلف الميعاد.

المأخذ الثالث: اضطراب نصوص الوعد في مساحة وحدود الأرض:

الاضطراب في الكلام أمارة الجهل والنسيان، ومن المسَلَّم أن الله منزه عنهما؛ فإذا ما وجدنا في الكلام اضطرابا واختلافا بحيث يباين بعضه بعضا، ويرد آخرُه أولَه، علمنا أنه ليس كلام الله، وإنما هو من إنتاج البشر وتأليفهم؛ جاء في القرآن عن القرآن:

---

(1) انظر سفر التكوين: 23/ 16-17.

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[1]. والمتأمل في نصوص الوعد يجد فيها اضطرابا و"اخْتِلَافًا كَثِيرًا+ بشأن حدود "الأرض الموعودة+ ومساحتها؛ مما يحيل صدورها عن الله.

وقد مر بنا إيراد نصوص الوعد وما تتضمنه من اختلاف حول حدود ومساحة الأرض في مبحث تعريف "أرض الميعاد+.

المأخذ الرابع: وضوح الاختلاق والكذب في المسوغات التوراتية لانفراد إسحاق ثم يعقوب بوراثة العهد دون بقية فروع إبراهيم:

إن الطريقة التي سوغت بها النصوص التوراتية انتقال ميراث الميثاق والوعد بالأرض من إبراهيم إلى ابنه إسحاق دون بقية إخوته؛ ثم من إسحاق إلى يعقوب (إسرائيل) دون أخيه عيسو، تحمل طابع الوضع والاختلاق، وتشهد على نفسها بالكذب؛ فقارئ قصة توارث الميثاق والوعد بالأرض في سفر التكوين من العهد القديم، يدرك بسهولة ويسر أن من كتبها تكلف – في استخفاف واضح بعقول القراء – جعْلَها تنتهي إلى نتيجة محددة سلفا؛ هي: حصر "الاختيار الإلهي+ والوعد بالأرض في بني إسرائيل دون غيرهم من فروع ذرية إبراهيم:

أولا: انتقال ميراث الوعد من إبراهيم إلى إسحاق:

بتتبع نصوص العهد القديم في هذا الأمر ألفيناها تسوغ انفراد إسحاق من بين إخوته باستحقاق ميراث أبيه بثلاثة مسوغات:

---

(1) سورة النساء: 82.

المسوغ الأول: أن إسحاق وحده هو ابن الزوجة الحرة (سارة)، أما الآخرون وضمنهم إسماعيل فمن الأَمَتين هاجر وقطورة، وأبناء الإماء أدنى منزلة من أن يعطوا ميراث العهد والميثاق، ويعدوا في "الشعب المختار+.

فقد توجه إبراهيم - كما يحكي العهد القديم- إلى الله قائلا: "لَيْتَ إِسْمَاعِيلَ يَعِيشُ أَمَامَكَ! فَقَالَ اللهُ: بَلْ سَارَةُ امْرَأَتُكَ تَلِدُ لَكَ ابْنا وَتَدْعُو اسْمَهُ إِسْحَاقَ. وَأُقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ عَهْدا أَبَدِيّا لِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ وَأُكَثِّرُهُ كَثِيرا جِدّا. اثْنَيْ عَشَرَ رَئِيسا يَلِدُ، وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً، وَلَكِنْ عَهْدِي أُقِيمُهُ مَعَ إِسْحَاقَ الَّذِي تَلِدُهُ لَكَ سَارَةُ+[1].

هكذا كانت عبودية (هاجر) سببا في حرمان ذريتها من الميراث، و"شرفِ+ الانتساب لـ "الشعب المختار+، كما كانت العبودية سببا في حرمان أبناء إبراهيم من قطورة، وما ندري متى كان التحرر من العبودية معيارا للخيرية في دين الأنبياء؟ ما ذنب العبد أو الأمة والعبودية ليست من صنع يده، وإنما هي ظلم نزل به من غيره؟ بل وما ذنب ابنٍ مورس ظلم الاستعباد على أبيه أو أمه؟

وإذا كان وصف العبودية في الأم قاضيا بحرمان الابن من ميراث العهد؛ فلم عد أبناء يعقوب من (بلهة)، جارية زوجته (راحيل)، ومن (زلفة) جارية زوجته (ليئة)؛ وهم (دان، ونفتالي، وجادا، وأشير) من "الشعب المختار+ ونالوا حظهم من "الأرض الموعودة+؟

(1) سفر التكوين: 17/ 18-21

مع أن قصة زواج يعقوب من (بلهة) و(زلفة) لا تختلف في شيء عن قصة زواج إبراهيم من هاجر:

تقول التوراة عن قصة زواج إبراهيم من هاجر: "وَأَمَّا سَارَايُ امْرَاةُ أَبْرَامَ فَلَمْ تَلِدْ لَهُ. وَكَانَتْ لَهَا جَارِيَةٌ مِصْرِيَّةٌ اسْمُهَا هَاجَرُ، فَقَالَتْ سَارَايُ لأَبْرَامَ: هُوَذَا الرَّبُّ قَدْ امْسَكَنِي عَنِ الْوِلادَةِ، ادْخُلْ عَلَى جَارِيَتِي لَعَلِّي أُرْزَقُ مِنْهَا بَنِينَ، فَسَمِعَ أَبْرَامُ لِقَوْلِ سَارَايَ...، فَدَخَلَ عَلَى هَاجَرَ فَحَبِلَتْ... فَوَلَدَتْ هَاجَرُ لأَبْرَامَ ابْنا، وَدَعَا أَبْرَامُ اسْمَ ابْنِهِ الَّذِي وَلَدَتْهُ هَاجَرُ إِسْمَاعِيلَ+[1].

وتقول عن قصة زواج يعقوب من (بَلْهة) و (زِلْفة): "فَلَمَّا رَأَتْ رَاحِيلُ أَنَّهَا لَمْ تَلِدْ لِيَعْقُوبَ، غَارَتْ مِنْ اخْتِهَا [(ليئة) الزوجة الثانية ليعقوب؛ لأنها وُهبت نسلا]، وَقَالَتْ لِيَعْقُوبَ: هَبْ لِي بَنِينَ وَإِلا فَأَنَا أَمُوت، فَحَمِيَ غَضَبُ يَعْقُوبَ عَلَى رَاحِيلَ، وَقَالَ: ..الله الَّذِي مَنَعَ عَنْكِ ثَمْرَةَ الْبَطْنِ، فَقَالَتْ: هُوَذَا جَارِيَتِي بَلْهَةُ. ادْخُلْ عَلَيْهَا فَتَلِدَ..، وَأُرْزَقُ أَنَا أَيْضا مِنْهَا بَنِينَ، فَأَعْطَتْهُ بَلْهَةَ جَارِيَتَهَا زَوْجَةً فَدَخَلَ عَلَيْهَا يَعْقُوبُ، فَحَبِلَتْ بَلْهَةُ وَوَلَدَتْ لِيَعْقُوبَ ابْنا، فَقَالَتْ رَاحِيلُ: قَدْ قَضَى لِيَ اللهُ وَسَمِعَ أَيْضا لِصَوْتِي وَأَعْطَانِيَ ابْنا، لِذَلِكَ دَعَتِ اسْمَهُ (دَانا)، وَحَبِلَتْ أَيْضا بَلْهَةُ جَارِيَةُ رَاحِيلَ وَوَلَدَتِ ابْنا ثَانِيا لِيَعْقُوبَ....، فَدَعَتِ اسْمَهُ (نَفْتَالِي)، وَلَمَّا رَاتْ لَيْئَةُ أَنَّهَا تَوَقَّفَتْ عَنِ الْوِلادَةِ أَخَذَتْ زِلْفَةَ جَارِيَتَهَا وَأَعْطَتْهَا لِيَعْقُوبَ زَوْجَةً، فَوَلَدَتْ زِلْفَةُ جَارِيَةُ لَيْئَةَ لِيَعْقُوبَ ابْنا، .. فَدَعَتِ اسْمَهُ (جَادا)، وَوَلَدَتْ زِلْفَةُ جَارِيَةُ لَيْئَةَ ابْنا ثَانِيا لِيَعْقُوبَ...، فَدَعَتِ اسْمَهُ (أَشِيرَ)+[2].

---

(1) نفسه: 16/ 1-15

(2) نفسه: 30/ 1-13.

فما الفرق بين إسماعيل بن إبراهيم من الجارية (هاجر) وبين أبناء يعقوب الأربعة هؤلاء من الجاريتين (بلهة) و(زلفة)؟

لم لا يعد إسماعيل وذريته في عقيدة المؤمنين بالتوراة من "الشعب المختار"، وينالوا سهمهم من "أرض الميعاد"، كما نال ذلك أبناء يعقوب هؤلاء، ما داموا جميعا من سلالة واحدة، ورتبة أمهاتهم سواء؟

أم أن الروح العنصرية التي كتبت بها التوراة اليهودية أبعدتها عن مبادئ العدل والإنصاف التي نزلت بها التوراة الحقيقية؟

المسوغ الثاني: أن الأبناء الآخرين غير إسحاق قد أخذوا عطايا من الأب في حياته، فكان الميراث بعد موته خاصا بإسحاق؛ وفي هذا المسوغ يقول سفر التكوين: "وَأَعْطَى إِبْرَاهِيمُ إِسْحَاقَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ، وَأَمَّا بَنُو السَّرَارِيِّ اللَّوَاتِي كَانَتْ لإِبْرَاهِيمَ فَأَعْطَاهُمْ إِبْرَاهِيمُ عَطَايَا، وَصَرَفَهُمْ عَنْ إِسْحَاقَ ابْنِهِ شَرْقا..، وَهُوَ بَعْدُ حَيٌّ+[1].

وهذه مغالطة واضحة، الغرض منها تخصيص إسحاق بميراث العهد و"الوعد بالأرض+ دون بقية إخوته؛ وآية وضع هذا النص وإقحامه في التوراة: نسبته الجورَ ومجانبة العدل في توزيع الحقوق بين الأبناء إلى نبي الله إبراهيم؛ وهو ما يتنزه عنه آحاد فضلاء الناس العاديين، فضلا عن نبي مرسل؛ وإلا فهل يقبل أي عاقل مؤمن بنبوة الخليل أن يصدر منه هذا الظلم؛ فيميز بين أبنائه، ويفضل بعضهم على بعض – في مخالفة تامة لقيم العدل التي تعد من

(1) نفسه: 25/ 5-6.

صميم دعوته – فيفرد أحدهم بميراث كل الحقوق المادية والمعنوية، بينما يكتفي بإعطاء الآخرين "عطايا+ – مجرد "عطايا+ – في حياته، ليبعدهم؟

أما القارئ المسلم، فلا يساوره شك في أن هذا النص مما أضافته اليهود إلى التوراة؛ لمخالفته ما صح عن رسول الله ق أن "الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُواْ دِينَاراً وَلاَ دِرْهَماً، وَإِنَّمَا وَرَّثُواْ الْعِلْمَ+[1]، ولقوله ق: "إِنَّا مَعْشَرَ الأَنْبِيَاءِ لا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةً+[2].

المسوغ الثالث – وهو خاص بإبعاد إسماعيل ونسله من الميراث – : وهو أن "الله+ أقر سارة على قولها لإبراهيم: "اطْرُدْ هَذِهِ الْجَارِيَةَ وَابْنَهَا؛ لأَنَّ ابْنَ هَذِهِ الْجَارِيَةِ لا يَرِثُ مَعَ ابْنِي إِسْحَاقَ+[3]؛ أقرها "الله+ إذ قال لإبراهيم: "لا يَقْبُحُ فِي عَيْنَيْكَ مِنْ أَجْلِ الْغُلامِ وَمِنْ أَجْلِ جَارِيَتِكَ، فِي كُلِّ مَا تَقُولُ لَكَ سَارَةُ اسْمَعْ لِقَوْلِهَا؛ لأَنَّهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ، وَابْنُ الْجَارِيَةِ أيضا سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً، لأنهُ نَسْلُكَ+[4].

---

(1) أخرجه أبو داود في كتاب (العلم) باب: الحث على طلب العلم، رقم (3641)، والترمذي في كتاب (العلم)، باب: ما جاء في فضل الفقه على العبادة، رقم (2682)، وابن حبان في كتاب العلم، باب: وصف العلماء الذين لهم الفضل، رقم (88)، وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان: "حديث حسن+، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، رقم: (6297).

(2) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، رقم: (6309)، والطبراني في المعجم الأوسط، رقم: (4578)، وأحمد في المسند، رقم: (9973)، وقال شعيب الأرنؤوط: في تحقيقه للمسند: "إسناده صحيح على شرط الشيخين+.

(3) سفر التكوين: 21/ 10.

(4) نفسه: 21/ 12-13.

وهذا المسوغ فوق ما فيه من تكلف واضح؛ فإنه مناف لما استقر في الأذهان من عدل الله؛ فالاعتقاد السليم في الله أنه لا يقر على ظلم؛ فكيف أقر سارة على رغبتها في حرمان إسماعيل من حقه في الميراث، وأمر إبراهيم بالخضوع لإرادتها؟

ثم لماذا يُعَرّف إسحاق باسمه (بإسحاق يكون لك نسل)، وكذلك سارة (مهما قالت لك سارة)، ولا يُعَرّف إسماعيل إلا مضافا إلى أمه (ابن هذه الجارية – أما ابن الجارية)، ولا تعرف هاجر باسمها بل بوصفها (الجارية) ؟ ولم هذا التكرار الممل لوصفها بـ"الجارية+؟ أليس في ذلك تكلف واضح أريد منه إقناع القارئ بدونية إسماعيل، وأنه أدنى من أن يتساوى مع إسحاق في استحقاق "الاختيار الإلهي+ وميراث الوعد؟

ألا يكون هذا أمارة على أن جملة (فإن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحاق) مقحمة في النص للغرض المذكور؟

بهذه الأسباب الواهية سوغت التوراة اليهودية انفراد إسحاق بميراث "العهد+ و"الميثاق+ دون بقية إخوته؛ فما المسوغات التوراتية لانتقال الميراث من إسحاق إلى ابنه يعقوب دون ابنه الآخر عيسو؟

ثانيا: انتقال الميراث من إسحاق إلى يعقوب:

المسوغات التوراتية لانتقال ميراث "العهد+ و"الوعد الإلهي بالأرض+ من إسحاق إلى يعقوب، وانفراده به دون أخيه عيسو، أوضح تكلفا وأكثر دلالة على الحبك والوضع؛ وأبرز هذه المسوغات ثلاثة:

المسوغ الأول: أن الله أخبر أمهما (رفقة) حين حملت بهما أن أكبرهما (وهو عيسو) سيكون خادما لأصغرهما (وهو يعقوب)؛ مما يدل على ما للأصغر من الأفضلية التي تمنحه الحق في الانفراد بالميراث دون الأكبر؛ وذلك حين "حَبِلَتْ رِفْقَةُ [امْرَأة إسحاق]، وَتَزَاحَمَ الْوَلَدَانِ فِي بَطْنِهَا، فَقَالَتْ: إِنْ كَانَ هَكَذَا فَلِمَاذَا أَنَا؟ [في النسخة اليسوعية: إِنْ كَانَ الأَمْرُ هَكَذَا فَمَا لِي وَالْحَيَاة؟] فَمَضَتْ لِتَسْأَلَ الرَّبَّ، فَقَالَ لَهَا الرَّبُّ: فِي بَطْنِكِ أُمَّتَانِ، وَمِنْ أَحْشَائِكِ يَفْتَرِقُ شَعْبَانِ: شَعْبٌ يَقْوَى عَلَى شَعْبٍ، وَكَبِيرٌ يُسْتَعْبَدُ لِصَغِيرٍ+[1]، فكان أولهما خروجا عند الولادة (عيسو)؛ فهو بذلك الأكبر منهما، "وَبَعْدَ ذَلِكَ خَرَجَ أَخُوهُ وَيَدُهُ قَابِضَةٌ بِعَقِبِ عِيسُو فَدُعِيَ اسْمُهُ يَعْقُوبَ+[2].

فهل تحقق ما تنبأ به هذا النص من خضوع أكبر التوأمين لأصغرهما؟ هل خضع عيسو وذريته (الأدوميون) ليعقوب ونسله (الإسرائيليين)؟

أم أن العكس هو الذي حصل؟ هل نسي من ألف سفر التكوين هذه النبوءة حين كتبوا قصة لقاء يعقوب مع أخيه عيسو، عند عودته من عند خاله (لابان)، وضمنوها خضوع يعقوب التام لأخيه عيسو، وخوفه منه، وسجوده له خوفا لا تحية وتكريما؟

تقول القصة: "أَرْسَلَ يَعْقُوبُ رُسُلا قُدَّامَهُ إِلَى عِيسُوَ أَخِيهِ إِلَى أَرْضِ سَعِيرَ بِلادِ أَدُومَ، وَأَمَرَهُمْ: هَكَذَا تَقُولُونَ لِسَيِّدِي عِيسُوَ: هَكَذَا قَالَ عَبْدُكَ يَعْقُوبُ: تَغَرَّبْتُ عِنْدَ لابَانَ وَلَبِثْتُ إِلَى الْآنَ، وَقَدْ صَارَ لِي بَقَرٌ وَحَمِيرٌ وَغَنَمٌ وَعَبِيدٌ وَإِمَاءٌ. وَأَرْسَلْتُ لِأُخْبِرَ سَيِّدِي لِكَيْ أَجِدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ، فَرَجَعَ الرُّسُلُ

(1) سفر التكوين: 25/ 21-23

(2) نفسه: 25/ 26

إِلَى يَعْقُوبَ قَائِلِينَ: أَتَيْنَا إِلَى أَخِيكَ إِلَى عِيسُو وَهُوَ أَيْضا قَادِمٌ لِلِقَائِكَ وَأَرْبَعُ مِئَةِ رَجُلٍ مَعَهُ، فَخَافَ يَعْقُوبُ جِدّا وَضَاقَ بِهِ الأَمْرُ...، وَقَالَ..: يَا إِلَهَ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهَ أَبِي إِسْحَاقَ...، نَجِّنِي مِنْ يَدِ أَخِي مِنْ يَدِ عِيسُوَ، لأَنِّي خَائِفٌ مِنْهُ أَنْ يَاتِيَ وَيَضْرِبَنِي...، ثُمَّ قَامَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَأَخَذَ امْرَأَتَيْهِ وَجَارِيَتَيْهِ وَأَوْلادَهُ الأَحَدَ عَشَرَ...، أَخَذَهُمْ وَأَجَازَهُمُ الْوَادِيَ...، وَرَفَعَ يَعْقُوبُ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا عِيسُو مُقْبِلٌ وَمَعَهُ أَرْبَعُ مِئَةِ رَجُلٍ، فَقَسَمَ الأَوْلادَ عَلَى لَيْئَةَ وَعَلَى رَاحِيلَ وَعَلَى الْجَارِيَتَيْنِ...،

وَأَمَّا هُوَ فَاجْتَازَ قُدَّامَهُمْ وَسَجَدَ إِلَى الأَرْضِ سَبْعَ مَرَّاتٍ...، فَاقْتَرَبَتِ الْجَارِيَتَانِ هُمَا وَأَوْلادُهُمَا وَسَجَدَتَا، ثُمَّ اقْتَرَبَتْ لَيْئَةُ أَيْضا وَأَوْلادُهَا وَسَجَدُوا، وَبَعْدَ ذَلِكَ اقْتَرَبَ يُوسُفُ وَرَاحِيلُ وَسَجَدَا+[1].

فأيهما يا ترى خضع للآخر؟ الكبير (عيسو) أم الصغير (يعقوب)؟

فهذا شاهد من نصوص توراتهم على أن ما تنبأ به النص المذكور لم يتحقق، بل حدث عكسه تماما.

وقد بينت توراة اليهود نفسها "كَيْفَ نَعْرِفُ الكَلامَ الذِي لَمْ يَتَكَلَمْ بِهِ الرَّبُّ؟ فَمَا تَكَلَمَ بِهِ النَّبِيُّ بِاسْمِ الرَّبِّ وَلَمْ يَحْدُثْ وَلَمْ يَصِرْ، فَهُوَ الكَلامُ الذِي لَمْ يَتَكَلَمْ بِهِ الرَّبُّ+[2].

وحيث إن الكلام الذي ذكر مؤلفو التوراة أن الرب كلم به رفقة "لم يحدث ولم يصر" علمنا أنه "كلام لم يتكلم به الرب+، وإنما تكلم به كاتبو التوراة

(1) نفسه: 32/ 3-11، و33/ 1-7.

(2) سفر التثنية: 18/ 21-22.

بغرض تفضيل يعقوب على عيسو تمهيدا لتخصيصه بميراث "العهد والوعد بالأرض+.

المسوغ الثاني: أن عيسو باع البكورية ليعقوب استخفافا بها؛ فاستحق يعقوب بذلك أن يكون في حكم الابن البكر الأحق بالإكرام في شريعتهم[1]: فقد حدث أن "طَبَخ يَعْقُوبُ طَبِيخا فَأَتَى عِيسُو مِنَ الْحَقْلِ وَهُوَ قَدْ أَعْيَا، فَقَالَ عِيسُو لِيَعْقُوبَ: أَطْعِمْنِي مِنْ هَذَا الأَحْمَرِ، لأَنِّي قَدْ أَعْيَيْتُ. (لِذَلِكَ دُعِيَ اسْمُهُ أَدُومَ)، فَقَالَ يَعْقُوبُ: بِعْنِي الْيَوْمَ بَكُورِيَّتَكَ، فَقَالَ عِيسُو: هَا أَنَا مَاضٍ إِلَى الْمَوْتِ، فَلِمَاذَا لِي بَكُورِيَّةٌ؟ [في النسخة اليسوعية: فَمَالِي وَالْبُكُورِيَّة؟] فَقَالَ يَعْقُوبُ: احْلِفْ لِيَ الْيَوْمَ، فَحَلَفَ لَهُ. فَبَاعَ بَكُورِيَّتَهُ لِيَعْقُوبَ، فَأَعْطَى يَعْقُوبُ عِيسُو خُبْزاً وَطَبِيخَ عَدَسٍ، فَأَكَلَ وَشَرِبَ، وَقَامَ وَمَضَى، فَاحْتَقَرَ عِيسُو الْبُكُورِيَّةَ+[2].

هكذا استغل "يعقوب التوراة+ جوعة أخيه وشدة حاجته إلى الطعام ليبتزه، ويرغمه على بيع بكوريته؛ في منافاة واضحة مع ما استقر في الأذهان من كرم أخلاق الأنبياء.

---

(1) يعتبر اليهود من يسمونهم (الآباء) من الأنبياء؛ كإبراهيم وإسحاق ويعقوب من اليهود؛ وعليه، فالشرائع التوراتية هي شرائعهم؛ فإذا كان الابن البكر يحظى بالأفضلية والإكرام في الشريعة اليهودية فهو كذلك عندهم؛ ومن الامتيازات التي يحظى بها البكر في الشريعة اليهودية كما في التوراة الحالية: أن له "نصيب اثنين من كل ما يوجد عند أبيه+، سفر التثنية: 21/ 17، ويعد "تقديم القرابين ..أمرا مقصورا على الابن البكر+ عندهم، عبد الوهاب المسيري، "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية+: 4/ 136

(2) سفر التكوين:25/ 29-34

فأين أثر المروءة والإيثار وحب الخير للغير في هذا السلوك الذي ينم عن قسوة قلب وأنانية طبع ورغبة في الاستئثار بالفضل؟

أليس هذا مما يتنزه عنه الفضلاء من عامة الناس فضلا عن أنبياء الله المرسلين؟

أوليس لعيسو على والديه حق الإطعام؟ أين نصيبه من طعام البيت حتى يضطر لشرائه من أخيه؟

المسوغ الثالث: أن يعقوب – كما يحكي مؤلفو التوراة – بتدبير من أمه سلب البركة بوجه من المخادعة من أخيه عيسو الذي استحق البركة من أبيه بحكم كونه بكرا.

وذالك أنه "لَمَّا شَاخَ إِسْحَاقُ، وَكَلَّتْ عَيْنَاهُ عَنِ النَّظَرِ أَنَّهُ دَعَا عِيسُوَ ابْنَهُ الأَكْبَرَ، وَقَالَ لَهُ: يَا ابْنِي..، إِنَّنِي قَدْ شِخْتُ، وَلَسْتُ أَعْرِفُ يَوْمَ وَفَاتِي، فَالْآنَ خُذْ عُدَّتَكَ: جُعْبَتَكَ وَقَوْسَكَ، وَاخْرُجْ إِلَى الْبَرِّيَّةِ وَتَصَيَّدْ لِي صَيْداً، وَاصْنَعْ لِي أَطْعِمَةً كَمَا أُحِبُّ، وَاتِنِي بِهَا لِآكُلَ حَتَّى تُبَارِكَكَ نَفْسِي قَبْلَ أَنْ أَمُوتَ، وَكَانَتْ رِفْقَةُ سَامِعَةً إِذْ تَكَلَّمَ إِسْحَاقُ مَعَ عِيسُو ابْنِهِ. فَذَهَبَ عِيسُو إِلَى الْبَرِّيَّةِ لِيَصْطَادَ صَيْداً لِيَأْتِيَ بِهِ، وَأَمَّا رِفْقَةُ فَقَالَتْ لِيَعْقُوبَ ابْنِهَا..: يَا ابْنِي، اسْمَعْ لِقَوْلِي فِي مَا أَنَا آمُرُكَ بِهِ: اذْهَبْ إِلَى الْغَنَمِ وَخُذْ لِي مِنْ هُنَاكَ جَدْيَيْنِ جَيِّدَيْنِ مِنَ الْمِعْزَى فَأَصْنَعَهُمَا أَطْعِمَةً لأَبِيكَ كَمَا يُحِبُّ..، حَتَّى يُبَارِكَكَ قَبْلَ وَفَاتِهِ...، فَذَهَبَ وَأَخَذَ وَأَحْضَرَ لِأُمِّهِ، فَصَنَعَتْ أُمُّهُ أَطْعِمَةً كَمَا كَانَ أَبُوهُ يُحِبُّ، وَأَخَذَتْ رِفْقَةُ ثِيَابَ عِيسُو ابْنِهَا الأَكْبَرِ الْفَاخِرَةَ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهَا فِي الْبَيْتِ، وَأَلْبَسَتْ يَعْقُوبَ ابْنَهَا الأَصْغَرَ، وَأَلْبَسَتْ يَدَيْهِ وَمَلاسَةَ عُنُقِهِ جُلُودَ جَدْيَيِ

الْمِعْزَى، وَأَعْطَتِ الأَطْعِمَةَ وَالْخُبْزَ الَّتِي صَنَعَتْ فِي يَدِ يَعْقُوبَ ابْنِهَا، فَدَخَلَ إِلَى أَبِيهِ وَقَالَ: يَا أَبِي، فَقَالَ: هَأَنَذَا. مَنْ أَنْتَ يَا ابْنِي؟ فَقَالَ يَعْقُوبُ لأَبِيهِ: أَنَا عِيسُو بِكْرُكَ(!)، قَدْ فَعَلْتُ كَمَا كَلَّمْتَنِي. قُمِ اجْلِسْ وَكُلْ مِنْ صَيْدِي لِتُبَارِكَنِي نَفْسُكَ، فَقَالَ إِسْحَاقُ لِابْنِهِ: مَا هَذَا الَّذِي أَسْرَعْتَ لِتَجِدَ يَا ابْنِي؟، فَقَالَ: إِنَّ الرَّبَّ إِلَهَكَ قَدْ يَسَّرَ لِي، فَقَالَ إِسْحَاقُ لِيَعْقُوبَ: تَقَدَّمْ لأَجُسَّكَ يَا ابْنِي. أَأَنْتَ هُوَ ابْنِي عِيسُو أَمْ لا؟ فَتَقَدَّمَ يَعْقُوبُ إِلَى إِسْحَاقَ أَبِيهِ، فَجَسَّهُ، وَقَالَ: الصَّوْتُ صَوْتُ يَعْقُوبَ وَلَكِنَّ الْيَدَيْنِ يَدَا عِيسُو، وَلَمْ يَعْرِفْهُ لأَنَّ يَدَيْهِ كَانَتَا مُشْعِرَتَيْنِ كَيَدَيْ عِيسُو أَخِيهِ. فَبَارَكَهُ، وَقَالَ: هَلْ أَنْتَ هُوَ ابْنِي عِيسُو؟ فَقَالَ: أَنَا هُوَ(!)...، فَقَدَّمَ لَهُ فَأَكَلَ وَأَحْضَرَ لَهُ خَمْراً فَشَرِبَ(!) فَقَالَ لَهُ إِسْحَاقُ أَبُوهُ: تَقَدَّمْ وَقَبِّلْنِي يَا ابْنِي..، فَشَمَّ رَائِحَةَ ثِيَابِهِ وَبَارَكَهُ. وَقَالَ: انْظُرْ! رَائِحَةُ ابْنِي كَرَائِحَةِ حَقْلٍ، قَدْ بَارَكَهُ الرَّبُّ، فَلْيُعْطِكَ اللهُ مِنْ نَدَى السَّمَاءِ وَمِنْ دَسَمِ الأَرْضِ وَكَثْرَةَ حِنْطَةٍ وَخَمْرٍ، لِيُسْتَعْبَدْ لَكَ شُعُوبٌ وَتَسْجُدْ لَكَ قَبَائِلُ. كُنْ سَيِّدا لأَخْوَتِكَ، وَلْيَسْجُدْ لَكَ بَنُو أُمِّكَ، لِيَكُنْ لاعِنُوكَ مَلْعُونِينَ وَمُبَارِكُوكَ مُبَارَكِينَ.

وَحَدَثَ عِنْدَمَا فَرَغَ إِسْحَاقُ مِنْ بَرَكَةِ يَعْقُوبَ، وَيَعْقُوبُ قَدْ خَرَجَ مِنْ لَدُنْ إِسْحَاقَ أَبِيهِ أَنَّ عِيسُوَ أَخَاهُ أَتَى مِنْ صَيْدِهِ، فَصَنَعَ هُوَ أَيْضا أَطْعِمَةً، وَدَخَلَ بِهَا إِلَى أَبِيهِ، وَقَالَ لأَبِيهِ: لِيَقُمْ أَبِي وَيَأْكُلْ مِنْ صَيْدِ ابْنِهِ حَتَّى تُبَارِكَنِي نَفْسُكَ، فَقَالَ لَهُ إِسْحَاقُ أَبُوهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَنَا ابْنُكَ بِكْرُكَ عِيسُو، فَارْتَعَدَ إِسْحَاقُ ارْتِعَادا عَظِيما جِدّا، وَقَالَ: فَمَنْ هُوَ الَّذِي اصْطَادَ صَيْدا وَأَتَى بِهِ إِلَيَّ فَأَكَلْتُ مِنَ الْكُلِّ قَبْلَ أَنْ تَجِيءَ وَبَارَكْتُهُ؟ نَعَمْ وَيَكُونُ مُبَارَكا! فَعِنْدَمَا سَمِعَ عِيسُو كَلامَ أَبِيهِ صَرَخَ صَرْخَةً عَظِيمَةً وَمُرَّةً جِدّا، وَقَالَ لأَبِيهِ: بَارِكْنِي أَنَا أَيْضا يَا أَبِي!

فَقَالَ: قَدْ جَاءَ أَخُوكَ بِمَكْرٍ وَأَخَذَ بَرَكَتَكَ، فَقَالَ: أَمَا أَبْقَيْتَ لِي بَرَكَةً؟ فَقَالَ إِسْحَاقُ لِعِيسُو: إِنِّي قَدْ جَعَلْتُهُ سَيِّدا لَكَ وَدَفَعْتُ إِلَيْهِ جَمِيعَ إِخْوَتِهِ عَبِيدا، وَعَضَدْتُهُ بِحِنْطَةٍ وَخَمْرٍ. فَمَاذَا أَصْنَعُ إِلَيْكَ يَا ابْنِي؟ فَقَالَ عِيسُو لأَبِيهِ: أَلَكَ بَرَكَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَطْ يَا أَبِي؟ بَارِكْنِي أَنَا أَيْضا يَا أَبِي! وَرَفَعَ عِيسُو صَوْتَهُ وَبَكَى، فَأَجَابَ إِسْحَاقُ أَبُوهُ: هُوَذَا بِلا دَسَمِ الأَرْضِ يَكُونُ مَسْكَنُكَ، وَبِلا نَدَى السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَبِسَيْفِكَ تَعِيشُ، وَلأَخِيكَ تُسْتَعْبَدُ+[1].

هل هذا وحي من الله؟ إذا كانت المباركة ثابتة للبكر بحكم بكريته، فهل كان من اللازم أن يطعم عيسو أباه صيدا حتى يستحق مباركته؟

وهل ما نسبه كُتاب العهد القديم في هذا النص من التدليس والخداع والكذب والأنانية ليعقوب مدح أو ذم له؟

كيف انطلت الخدعة على إسحاق، وهو شيخ مجرب، بل نبي مرسل؛ والرسل أذكى الناس؟

ألم يميز بين طعم الصيد وطعم الجدي؟

أما فطن إلى الفرق بين شعر المعز وبين شعر ابنه؟

بل كيف استطاعت الأم أن "تلبس يديه و ملاسة عنقه جلود جديي المعزى" وقد ذبحا لتوهما؟؟

وكيف عرف أن الصوت صوت يعقوب، ولم يدعه ذلك إلى التحقق من الشعر الذي على عنقه ويديه؛ فبادر بمباركته وهو لم يعرفه؟

---

(1) سفر التكوين: 27/ 1-40.

هب أن الخدعة انطلت على إسحاق، فهل انطلت على رب إسحاق واهبِ البركة؟

وحين دعا إسحاق ربه أن يبارك ابنه، هل كان يقصد (يعقوب) أم (عيسو)؟ "لا يشك أحد في أن إسحاق عليه السلام إذ بارك يعقوب، إذ خدعه – بزعم النذل الذي كتب لهم هذا الهوس– إنما قصد بتلك البركة عيسو، وله دعا، لا ليعقوب؛ فأي منفعة للخديعة ههنا لو كان لهم عقل؟+[1].

ولو افترضنا جدلا أن المقصود بالمباركة يعقوب الذي أمامه؛ فهل تحقق فيه ما باركه به إسحاق حين قال: (فليعطك الله من ندى السماء و من دسم الأرض وكثرة حنطة وخمر، ليستعبد لك شعوب، و تسجد لك قبائل، كن سيدا لإخوتك، و ليسجد لك بنو أمك)؟

هل استَعْبَد إسرائيلُ وبنوه الشعوبَ؟ هل سجدت لهم القبائل؟ هل كان سيدا لإخوته؟ أم أن العكس هو الذي حصل؟

يجيب أبو محمد بن حزم: "والله ما خدمت الأمم قط يعقوب ولا بنيه بعده، ولا خضعت لهم الشعوب، ولا كانوا موالي [أي سادة] إخوتهم، ولا سجد لهم ولا له بنو أبيه؛ بل بنو إسرائيل خدموا الأمم في كل بلدة وفي كل أمة، وهم خضعوا للشعوب قديما وحديثا+[2].

وقد مر بنا قريبا أن يعقوب وأبناءه هم من سجدوا لعيسو، وخضعوا له بشهادة التوراة اليهودية نفسها.

---

(1) أبو محمد بن حزم، "الفصل في الملل والأهواء والنحل+: 1/ 228.

(2) نفسه: 1/ 229

بل إن سفر القضاة يصرح باستعباد الأدوميين (بني عيسو) للإسرائيليين (بني يعقوب)؛ وذلك حين "عَمِلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، وَنَسُوا الرَّبَّ إِلَهَهُمْ وَعَبَدُوا الْبَعْلِيمَ وَالسَّوَارِيَ (من آلهة الكنعانيين)، فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ، فَبَاعَهُمْ بِيَدِ كُوشَانَ رِشَعْتَايِمَ مَلِكِ أَرَامِ النَّهْرَيْنِ، فَعَبَدَ بَنُو إِسْرَائِيلَ كُوشَانَ رِشَعْتَايِمَ ثَمَانِيَ سِنِينَ+[1]، وفي النسخة اليسوعية: "واستُعْبِد بنو إسْرائيل لكُوشَان رِشَعْتائِيمَ ثَمَانِي سِنِينَ+.

ثم هل البركة أمر مادي يُختلس بالخداع ولا يمكن استرجاعه؟ ولماذا لم يُجب إسحاق عن سؤال عيسو: "ألك بركة واحدة؟+؟ ما المانع له من أن يسأل ربه أن يبارك عيسو بعد أن تحقق "خداع+ يعقوب؛ والرب لا تنفذ خزائنه؟

هل كان مؤلفو هذا السفر من العهد القديم ليضطروا إلى مثل هذه الدراما الرديئة، لولا نزعتهم العنصرية ورغبتهم في حصر "الاختيار الإلهي+ وسمو النسب في بني إسرائيل؟

الاعتراض الثاني: أن الوعد بالأرض والعودةِ إليها ليس مطلقا؛ بل هو مقيد بالصلاح والعودةِ إلى العمل بأحكام الشريعة؛ فأسفار العهد القديم تنص على أن الوعد بالأرض "لبني إسرائيل يبقى قائما ما بقي بنو إسرائيل يطيعون شريعة

(1) سفر القضاة: 3/ 7-8

موسى.. [و] أنهم سوف يخسرون الميثاق الذي يتضمن الوعد بالأرض إذا عصوا الله، ولم يلتزموا بشريعته كما نقلها موسى إليهم+[1].

يقول سفر المزامير: "الإِنْسَانُ الْخَائِفُ الرَّبَّ؟ يُعَلِّمُهُ طَرِيقاً يَخْتَارُهُ، نَفْسُهُ فِي الْخَيْرِ تَبِيتُ، وَنَسْلُهُ يَرِثُ الأَرْضَ+[2].

ونبه سفر أشعيا إلى أن "صِهْيَوْنَ تُفْدَى بِالْحَقِّ وَ.. بِالْبِرِّ+[3]، وأنكر حزقيال على الذين يأملون وراثة الأرض اتكالا على الوعد بها، وهم متمردون على أحكام الشريعة قائلا: "إِنَّ السَّاكِنِينَ فِي هَذِهِ الْخِرَبِ فِي أَرْضِ إِسْرَائِيلَ يَقُولُونَ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ وَاحِداً وَقَدْ وَرِثَ الأَرْضَ. وَنَحْنُ كَثِيرُونَ. لَنَا أُعْطِيَتِ الأَرْضُ مِيرَاثاً، لِذَلِكَ قُلْ لَهُمْ: ...تَرْفَعُونَ أَعْيُنَكُمْ إِلَى أَصْنَامِكُمْ وَتَسْفِكُونَ الدَّمَ. أَفَتَرِثُونَ الأَرْضَ؟ .. فَعَلْتُمُ الرِّجْسَ، وَكُلٌّ مِنْكُمْ نَجَّسَ امْرَأَةَ صَاحِبِهِ. أَفَتَرِثُونَ الأَرْضَ؟+[4].

وقد مر أن نبوءات العودة تجعل توبة المتنبأ بعودتهم، ورجوعهم إلى العمل بوصايا الشريعة شرطا في تحقق العودة، كما في نبوءة نحميا: "وَإِنْ رَجَعْتُمْ إِلَيَّ وَحَفِظْتُمْ وَصَايَايَ وَعَمِلْتُمُوهَا، إِنْ كَانَ الْمَنْفِيُّونَ مِنْكُمْ فِي أَقْصَاءِ السَّمَاوَاتِ فَمِنْ هُنَاكَ أَجْمَعُهُمْ وَآتِي بِهِمْ..+[5]

---

(1) وليم بيكر، "سرقة أمة+، ترجمة سهيل زكار، ط. دار إحسان، الطبعة.1، دمشق (1985)، ص: 109.

(2) المزمور: 25/ 12-13.

(3) سفر أشعيا: 1/ 27-28.

(4) سفر حزقيال: 33/ 24-26.

(5) سفر نحميا: 1/ 9.

فمن شرط تحقق الوعد ونبوءة العودة إذن صلاح الموعودين، والتزامهم العدل والحق، وتمسكهم بأحكام الشريعة المنزلة إليهم؛ فـ"هل حافظ اليهود على شريعة الله وأوامره؟ الجواب جاء لكل الأجيال القادمة ضمن السياق التاريخي نفسه الذي يتحدث عن الوعود الحارة، والثواب الذي ينتظر الشعب الطائع، وتبين التوراة بوضوح ارتداد هؤلاء، وعبادتهم لآلهة زائفة، ثم الضلال المطلق لأمة إسرائيل بكاملها، وقد ذكرت أسماء الأفراد والقبائل، كما ذكرت أسماء المدن والأماكن التي فسقوا فيها، ومع ذلك يبدو أن كثيرين من الذين يؤيدون مسألة النبوءة في احتلال إسرائيل لفلسطين[1] لم يقرؤوا ذلك، لقد أبطل اليهود مرة بعد أخرى الجزء المتعلق بهم من الميثاق المتفق عليه+[2].

ولعل من نصوص التوراة التي يشير وليم بيكر إلى أنها تبين بوضوح ارتداد اليهود عن دينهم، وتنكرهم لوصايا الشريعة الموسوية – إضافة إلى نص أشعيا السابق – ما جاء في سفر الملوك الثاني: "وَأَشْهَدَ الرَّبُّ عَلَى إِسْرَائِيلَ وَعَلَى يَهُوذَا عَنْ يَدِ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ وَكُلِّ رَاءٍ[3] قَائِلاً: ارْجِعُوا عَنْ طُرُقِكُمُ الرَّدِيئَةِ، وَاحْفَظُوا وَصَايَايَ؛ فَرَائِضِي حَسَبَ كُلِّ الشَّرِيعَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُ بِهَا آبَاءَكُمْ، وَالَّتِي أَرْسَلْتُهَا إِلَيْكُمْ عَنْ يَدِ عَبِيدِي الأَنْبِيَاءِ، فَلَمْ يَسْمَعُوا، بَلْ صَلَّبُوا

(1) يقصد الذين يقولون: إن قيام "إسرائيل+ تحقيق للنبوءات التي تتنبأ بعودة بني إسرائيل إلى فلسطين بعد الجلاء. وواضح أن الكاتب يفترض، أو يعتقد أن يهود اليوم من أمة بني إسرائيل؛ لأن سياق كلامه يقتضي استحقاق اليهود الحاليين أرض فلسطين لو أنهم أطاعوا الوصايا، وسيأتي بيان أن اليهود الحاليين ليسو من بني إسرائيل.

(2) وليم بيكر، "سرقة أمة+، ص: 110.

(3) الرائي: من يزعم أنه يأتيه الوحي عن طريق الرؤى..

أَقْفِيَتَهُمْ كَأَقْفِيَةِ آبَائِهِمِ الَّـذِينَ لَـمْ يُؤْمِنُـوا بِـالرَّبِّ إِلَهِهِـمْ، وَرَفَضُـوا فَرَائِضَـهُ... وَسَارُوا وَرَاءَ الْبَاطِلِ...، وَتَرَكُوا جَمِيعَ وَصَايَا الرَّبِّ إِلَهِهِمْ، وَعَمِلُوا لأَنْفُسِـهِمْ مَسْبُوكَات عِجْلَيْنِ، وَعَمِلُوا سَوَارِيَ، وَسَجَدُوا لِجَمِيعِ جُنْـدِ السَّـمَاءِ، وَعَبَـدُوا الْبَعْلَ+[1].

وكذا قول سفر القضاة السابق: "عَمِلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الـرَّبِّ، وَنَسُوا الرَّبَّ إِلَهَهُمْ وَعَبَدُوا الْبَعْلِيمَ..+[2].

هذا عن يهود التاريخ، أما يهود عصـرنا "فالغالبيـة العظمـى.. [مـنهم] لم تعد تلتزم بالشريعة اليهودية، ولم يعد ينطبق عليها مصـطلح (يهـودي) حسـب التعريـف الحاخـامي[3]، ولكـن هـذه الأغلبيـة تصـر في الوقـت نفسـه علـى الاحتفاظ بلقب "يهودي+، بينما لا توجد سـوى أقليـة صـغيرة للغايـة ملتزمـة بالشريعة، تحتفظ هي الأخرى بلقب "يهودي+، وتعطـي لنفسـها حـق أن تقـرر من هو اليهـودي؟ ولـذا فهـي تـذهب إلى أن أغلبيـة اليهـود السـاحقة ليسـوا يهودا+[4].

وحيث إن اليهود لم يلتزمـوا وصـايا شـريعتهم (سـواء قبـل تحريفهـا أو بعده)؛ بـل نبـذوها وراء ظهـورهم قـديما وحـديثا؛ فقـد انتفـى عـنهم شـرط اسـتحقاق الأرض الـذي تشـترطه أسـفارهم في الموعـودين بهـا، وفي المتنبـأ

(1) سفر الملوك الثاني: 17/ 13-16.

(2) سفر القضاة: 3/ 7.

(3) التعريـف الحاخـامي لــ (اليهـودي): هـو "مـن ولـد لأم يهوديـة أو مـن تهـود+، عبـد الوهـاب المسيري، "من هو اليهودي؟+، ط. دار الشروق، ط. 3، القاهرة، (2002م)، ص: 31.

(4) عبد الوهاب المسيري، المرجع نفسه، ص: 34.

بعودتهم إليها، وإذا انتفى الشرط (وهو التزام الشريعة) بطل المشروط (وهو استحقاق الأرض).

الاعتراض الثالث: أن عودة بني إسرائيل من الشتات، المتنبأ بها في النصوص السابقة، لا تنطبق على التجمع الحالي لليهود في فلسطين؛ للأسباب الآتية:

السبب الأول: أن نبوءات العودة صدرت ممن تنبئوا بها في سياق تاريخي معين، يرتبط بأحداث الأسر الآشوري ثم البابلي لليهود في القرنين: (8 ثم 6 ق.م)، وكانت النبوءات تهدف إلى الرفع من معنويات بني إسرائيل، وتثبيتهم على دينهم في أرض الجلاء، وقطع الطريق أمام اليأس أن يتسلل إلى نفوسهم، فيفكروا في التماهي مع سكان بلاد الشتات في دينهم وتقاليدهم الوثنية، فيرتدوا عن دينهم.

لهذا فالمتنبؤون بالعودة، إنما تنبؤوا بعودة يهود بني إسرائيل من الأسر الآشوري والبابلي، و"هذه النبوءة تحققت فعلا في الماضي؛ فقد عاد اليهود إلى يهوذا وأعادوا بناء الهيكل، ثم عاشوا بنوع من الاستقلالية في عصر المكابيين+[1].

وقد فصل أحداثَ عودة بني إسرائيل من الأسر البابلي سفرا عزرا ونحميا؛ فأول عنوان يواجهك من سفر عزرا من النسخة اليسوعية

---

(1) Alfred Guillaume +Zionists and the bible" pp. 15-16، عن نويهض الحوت "فلسطين: القضية – الشعب – الحضارة+، ص: 10.

للكتاب "المقدس+: (**العودة من الجلاء وإعادة بناء الهيكل**)[1]، وتحته يقول السفر: "وَفِي السَّنَةِ الأُولَى لِكُورَشَ مَلِكِ فَارِسَ عِنْدَ تَمَامِ كَلاَمِ الرَّبِّ بِفَمِ إِرْمِيَا[2]، نَبَّهَ الرَّبُّ رُوحَ كُورَشَ مَلِكِ فَارِسَ، فَأَطْلَقَ نِدَاءً فِي كُلِّ مَمْلَكَتِهِ، وَبِالْكِتَابَةِ أَيْضاً قَائِلاً: هَكَذَا قَالَ كُورَشُ مَلِكُ فَارِسَ: جَمِيعُ مَمَالِكِ الأَرْضِ دَفَعَهَا لِيَ الرَّبُّ إِلَهُ السَّمَاءِ، وَهُوَ أَوْصَانِي أَنْ أَبْنِيَ لَهُ بَيْتاً فِي أُورُشَلِيمَ الَّتِي فِي يَهُودَا، مَنْ مِنْكُمْ مِنْ كُلِّ شَعْبِهِ، لِيَكُنْ إِلَهُهُ مَعَهُ، وَيَصْعَدْ إِلَى أُورُشَلِيمَ الَّتِي فِي يَهُودَا، فَيَبْنِيَ بَيْتَ الرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ...؛ فَقَامَ رُؤُوسُ آبَاءِ يَهُودَا وَبِنْيَامِينَ وَالْكَهَنَةُ وَاللاَّوِيُّونَ... لِيَصْعَدُوا لِيَبْنُوا بَيْتَ الرَّبِّ الَّذِي فِي أُورُشَلِيمَ...، فَأَقَامَ الْكَهَنَةُ وَاللاَّوِيُّونَ وَبَعْضُ الشَّعْبِ.. فِي مُدُنِهِمْ وَكُلُّ إِسْرَائِيلَ فِي مُدُنِهِمْ+[3].

---

(1) العناوين في النسخة اليسوعية من الكتاب "المقدس+ من وضع المشرفين على طبعه؛ كما أعلنوا ذلك في المقدمة.

(2) عبارة: (عِنْدَ تَمَامِ كَلاَمِ الرَّبِّ بِفَمِ إِرْمِيَا) وردت في النسخة اليسوعية بلفظ: (لكي يتم ما تكلم به الرب على لسان إرميا)، ويجب أن تكون دليلا قاطعا لدى المؤمنين بالعهد القديم على أن العودة المتنبأ بها تحققت فعلا في الماضي، وهي عودة بني إسرائيل من بابل إلى (أورشليم) في عهد قورش ملك فارس و"ما تكلم به الرب على لسان إرميا+ هو ما جاء في سفر إرميا في مواضع، مثل الإصحاح: 19/ 10-14 الذي يتنبأ بعودة الإسرائيليين إلى فلسطين بعد 70 سنة من السبي في بابل؛ يقول الإصحاح: "لأنه هكذا قال الرب: إني عند تمام سبعين سنة لبابل، أتعهدكم، وأقيم لكم كلامي الصالح بردكم إلى هذا الموضع [أورشليم].. يقول الرب، وأرد سبيكم، وأجمعكم من كل الأمم، ومن كل المواضع التي طردتكم إليها يقول الرب، وأردكم إلى الموضع الذي سبيتكم منه+.

(3) سفر عزرا: الإصحاحان: 1-2.

و"ما دامت هذه النبوءة قد تحققت مرة، فلا يمكن أن تتحقق مرتين، فالتوراة لم تتنبأ بمرة ثانية+[1].

السبب الثاني: أن نبوءة العودة لو كانت منطبقة على يهود اليوم لهاجروا جميعا إلى فلسطين؛ إذ في نصوص العودة كما مر معنا: ثُمَّ جَمْعِهِمْ إِلَى أَرْضِهِمْ. وَلاَ أَتْرُكُ بَعْدُ هُنَاكَ أَحَداً مِنْهُم+[2]؛ وهو ما لم يتحقق، لأن المجتمعين منهم في أرض فلسطين لا يشكلون سوى (42,47%) من يهود العالم؛ إذ لا يبلغ عدد اليهود في "إسرائيل+ سوى (5,704,000) ملايين، من المجموع الكلي لليهود في العالم وهو: (13,428,000) مليونا، حسب إحصاء رسمي "إسرائيلي+ ل (سنة 2010)[3].

ولا يرِد على هذا إمكانُ التحاق يهود الخارج فيما بعد بفلسطين؛ لما يلي:

- أن أكثر يهود الخارج في أمريكا (5,275,000) ملايين[169]؛ وأكثرهم غير متدين، و"لا يرغب معظمهم في العودة الفعلية+[4] إلى فلسطين؛ لشدة اندماجهم وارتباطهم اقتصاديا واجتماعيا بالبلد، وقل الشيء نفسه عن بقية يهود الغرب.

---

(1) Alfred Guillaume، +Zionists and the bible"، pp:15-15، عن نويهض الحوت "فلسطين: القضية-الشعب-الحضارة+، ص: 10.

(2) سفر حزقيال: 39/ 28.

(3)The Jewish policy Institute (Established by the Jewish Agencyfor "Israil"),"Jewish demographic PoliciesPopulation Trends and Options in +Israel" and in the Diaspora".p:66.

(4) عبد الوهاب المسيري، "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية+: 5/ 78

- أن كثيرا من الجماعات اليهودية المناهضة للصهيونية، ترفض مبدئيا إقامة دولة يهودية في فلسطين؛ لأسباب دينية، وتدعو اليهود للاندماج في بلدانهم التي يعيشون فيها[1].

السبب الثالث: أن نبوءات العودة إنما تنبأت بعودة **بني إسرائيل** من المنفى إلى الأرض، واليهود المجتمعون حاليا في أرض فلسطين ليسوا من سلالة بني إسرائيل في معظمهم؛ كما تؤكد "دراسة قام بها أنثروبولوجي بريطاني هو (جيمس فنتون) عن يهود "إسرائيل"، توصل فيها إلى أن 95% من اليهود ليسوا من بني إسرائيل التوراة، وإنما هم أجانب متحولون أو مختلطون+[2]. أي أجانب عن السلالة الإسرائيلية تحولوا إلى اليهودية، أو نشأوا عن الزواج المختلط بين اليهود وغيرهم.

وبيان الأصول العرقية ليهود العصر الحالي هو ما سيتضح في:

---

(1) ينظر د. ياكوف م. رابكن، "المناهضة اليهودية للصهيونية+، ترجمة دعد عائدة، ط. ونشر مركز دراسات الوحدة العربية، ط.1 ، (بيروت 2006)، ص: 34-236.

(2) جمال حمدان، "اليهود انثروبولوجياً"، ص180.

المبحث الثالث

الدليل الأنثروبولوجي

(الأنثروبولوجيا): عبارة منحوتة من الكلمتين اليونانيتين: (anthropos) وتعني: الإنسان، و(logos) وتعني: العلم؛ وعليه فالمعنى الحرفي للأنثروبولوجيا؛ هو علم الإنسان؛ ويعَرَّف بأنه علم دراسة الإنسان من حيث هو كائنٌ طبيعي واجتماعي وثقافي، أو هو "علم دراسة الإنسان طبيعيا واجتماعيا وحضاريا+[1]، وينصب الاهتمام فيه على تفاعل الجوانب البيولوجية والثقافية والاجتماعية في نسق واحد ليتحدد أسلوب العيش ونمط الحياة لدى الإنسان؛ فعالم الانثروبولوجيا في دراساته للإنسان يحاول أن يكشف ويصنف النواحي الجسمية ويحدد الصفات التي تميز الأجناس البشرية وتفاعل تلك الأجناس مع البيئة ليكشف أوجه الشبه والاختلاف بين مختلف الثقافات، فيتعدى اهتمام عالم الانثروبولوجيا نطاق الوصف للجوانب البيولوجية والحضارية والاجتماعية إلى محاولة استخلاص القوانين والأنساق التي تتحكم في تكوين المجتمعات وأنماط عيشها، والحضارات ونموها.

ولعلم الأنثروبولوجيا فروع كثيرة؛ منها:

- الأنثروبولوجيا الثقافية، وتدرس الشعوب في قيمها و تقاليدها وأديانها ولغاتها.

(1) شاكر سليم "قاموس الأنثروبولوجيا+، نشر جامعة الكويت، (1981)، ص: 56.

❷ الأنثروبولوجيا الاجتماعية؛ وتعنى بدراسة أنواع وأصول الشعوب والجماعات البشرية وأنماط عيشها[1].

❸ الأنثروبولوجيا البيولوجية أو الطبيعية، وتهتم بدراسة الإنسان من الناحية الفيزيائية كما بدراسة أصله، وتمايزه في سلالات مختلفة، وعن الأنثروبولوجيا البيولوجية تفرع علم الأجناس البشرية الذي يعنى بدراسة السلالات والأعراق، وأمارات وعوامل نقائها أو اختلاطها.

وهذا الفرع الأخير من فروع علم الأنثروبولوجيا هو الذي يعنينا في هذه الدراسة؛ إذ بإجراء قواعد علم الأجناس البشرية على الجماعات اليهودية في العالم تبين للعلماء أنها جماعات عرقية شديدة التنوع، وأن أصول اليهود المعاصرين لا ترجع إلى السلالة الإسرائيلية.

ومبنى هذا الدليل:

- أن "الوعد الإلهي+ بالأرض – إن سلمنا جدلا بصحته - والتنبؤ بالعودة إليها، إنما هما لبني إسرائيل حسب نصوص التوراة .

---

(1) تم تلخيص هذا التعريف اعتمادا على:

- موسوعة علم الإنسان: المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية، تأليف: شارلوت سيمور سميث، ترجمة مجموعة من أساتذة علم الاجتماع بإشراف محمد الجوهري، ط. المركز القومي للترجمة، الطبعة 2، القاهرة (2009)، ص: 89 وما بعدها.
- (قاموس الأنثروبولوجيا)، لشاكر سليم ، ط. جامعة الكويت (1981) ص: 56 وما بعدها.
- قصة الأنثروبولوجيا: فصول في تاريخ علم الإنسان، للدكتور حسين فهيم، نشر سلسلة عالم المعرفة الكويتية، عدد (98)، فبراير (1986)، ص: 18 وما بعدها.
- ما هي الأنثروبولوجيا؟ نشأتها – أقسامها – وعلاقتها بالعلوم الأخرى، مقال لإبراهيم السباعي منشور بموقع منتدى الأنثروبولوجيين والاجتماعيين العرب: (anthro.ahlamontada.net).

-ويهود العصر الحالي – كما أثبتت الدراسات الأنثروبولوجية – ليسوا في معظمهم من سلالة بني إسرائيل.

- والنتيجة: أن الوعد بالأرض ونبوءة العودة إليها لا ينطبقان على يهود اليوم، ولا علاقة لهم سلاليا بمن استوطنوا أرض فلسطين في الماضي؛ فلا حق لهم – من ثم – دينيا ولا تاريخيا في أرض فلسطين.

وهذه النتيجة هي التي أكدها اللورد موين سكرتير الدولة البريطانية، يوم 9 يونيو 1942، حين أعلن "أن اليهود الحاليين ليسوا هم أحفاد اليهود القدماء، ومن ثم فلا تحق لهم المطالبة الشرعية بالأرض المقدسة+[1]، ونظرا لخطورة هذا الاستنتاج، كان ثمنه حياة (اللورد موين)، فقد اغتيل بالقاهرة، يوم 6 نونبر 1944، على يد عنصرين صهيونيين من أعضاء جماعة (شترن) التابعة لإسحاق شامير؛ اللذين كشفت صحيفة (إيفنج ستار) في أوكلاند، أنهما دفنا بعد موتهما عند نصب "الأبطال+ في القدس[2].

ومستند المقدمة الأولى من الدليل (وهي: أن الأرض إنما وعد بها الإسرائيليون – بعد أن خصتهم التوراة اليهودية به دون بقية فروع إبراهيم – وأن المتنبأ بعودتهم إليها إنما هم يهود بني إسرائيل)، مستندها: ما في نصوص الوعد كلها من ربط استحقاق الوعد بالانتماء العرقي للموعودين بالأرض؛ حيث خوطب كل من إبراهيم وإسحاق ويعقوب بعبارة (لك ولنسلك، أو لنسلك أعطي هذه الأرض).

---

(1) روجي جارودي، "محاكمة الصهيونية+، ص: 96.

(2) نفسه.

فكما أسلفنا في نصوص الوعد بالأرض "قال الرب لأبرام: ..كل الأرض التي ترى لك أعطيها **ولنسلك** للأبد+[1]، وقال لإسحاق: "وأعطي **نسلك** هذه البلاد كلها+[2]، وقال ليعقوب: "**ولنسلك** من بعدك أعطي الأرض+[3].و كذا ما مضى معنا في مبحث نبوءات العودة، من أن النبوءة تتحدث عن عودة بني إسرائيل؛ ففي نبوءة طوبيا كما تقدم: "**جميع بني إسرائيل** الذين ينالون الخلاص في تلك الأيام، يجتمعون ويأتون إلى أورشليم ويسكنون للأبد في أرض إبراهيم+[4].

وفي نبوءة حزقيال: "أرد أسرى يعقوب وأرحم **جميع بيت إسرائيل** ... حين أعيدهم من بين الشعوب+[5].

فهذه النصوص صريحة بما لا احتمال معه للتأويل في أن من شروط استحقاق الأرض أن يكون المدعي من "**نسل**+ الموعودين بها، وأنه لا حق فيها للمنحدرين من غير نسلهم، وأن المتنبأ بعودتهم إليها إنما هم يهود بني إسرائيل.

وإثبات المقدمة الثانية من الدليل (وهي أن يهود اليوم ليسوا من سلالة إسرائيل) هو ما تكفلت به قواعد علم الأنثروبولوجيا والدراسات التي أجريت في ضوئها على اليهود.

---

(1) سفر التكوين: 13/ 14-16.

(2) نفسه: 26/ 4.

(3) نفسه: 35/ 12.

(4) سفر طوبيا: 14/ 4.

(5) سفر حزقيال: 39/ 23.

فقد "أظهرت نتائج أبحاث علم الأجناس البشرية [كما يقول الدكتور رافائيل باتال] أنه - خلافا للرأي الشائع – ليس هناك جنس يهودي؛ حيث تدل قياسات الأجسام البشرية التي أجريت على مجموعات من اليهود أنهم يختلفون بعضهم عن بعض اختلافا بينا في كل الخصائص الجسدية الهامة: القامة – الوزن – لون البشرة – الدليل الرأسي – الدليل الوجهي – فصائل الدم ..إلخ، والواقع أن هذا هو الرأي الذي يسلم به علماء الأجناس والمؤرخون+[1].

يقول الدكتور جوان كوماسن: "إن نقاوة السلالة اليهودية ما هي إلا أوهام+[2].

ويؤكد الحقيقة نفسها جمس باركس في قوله: "لا يمكن القول بأن تاريخ اليهود هو تاريخ عنصر من العناصر البشرية؛ وذلك أن اليهود لم يكونوا من أصل نقي منذ بدء تاريخهم... ومن الخطأ الاعتقاد بأنهم لم يقبلوا متهودين من عقائد وأجناس أخرى+[3]

ويقرر أستاذ علم الأجناس بجامعة جنيف أوجين بيتار أن "اليهود عبارة عن طائفة دينية اجتماعية، انضم إليهم في جميع العصور أشخاص من أجناس شتى، جاءوا من جميع الآفاق؛ فمنهم الفلاشا سكان الحبشة، ومنهم الألمان

---

(1) آرثر كيستلر، "القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم+، ترجمة: أحمد نجيب هاشم، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ضمن سلسلة ألف كتاب، (1991م)، ص: 180.

(2) خرافات عن الأجناس، ص: 54، عن: محمد أحمد محمود حسن، "اليهودية التبشيرية في الكتب المقدسة+، ط. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة (1998)، ص: 52.

(3) تاريخ الشعب اليهودي، ص: 7، عن: مهندس أحمد عبد الوهاب، "فلسطين بين الحقائق والأباطيل+، ط. مطبعة الاستقلال الكبرى، الطبعة.1 (1392هـ/ 1972م)، ص: 48.

ذوو السحنة الجرمانية، ومنهم التامل السود في الهند، والخزر من الجنس التركي، ومن المستحيل أن نتصور أن اليهود ذوي الشعر الأشقر... والعيون الصافية اللون الذين نلقاهم في أوربا الوسطى يمتون بصلة القرابة – قرابة الدم – إلى أولئك الإسرائيليين الذين كانوا يعيشون بجانب نهر الأردن+[1].

وأوضح العالم المصري الدكتور محمد عوض محمد خطأ من يتوهم انحدار "اليهود جميعا من سلالة إسرائيل (يعقوب) [بأنهم] قلما يقفون لحظة واحدة لكي يدركوا أن هذا الوهم لو كان صحيحا، لكان اليهود جميعا في أنحاء العالم متشابهين في السحنة والمنظر والتقاطيع، ولو نظرنا إلى اليهود في مختلِف أقطار العالم اليوم، لوجدنا بينهم الشقر ذوي العيون الزرقاء والشعر الأصفر، ورأينا بينهم السمر ذوي الشعر المجعد..، ورأينا بينهم الطوال القامة والقصار، وذوي الرؤوس الطويلة والعريضة، ويوشك ألا يكون هناك اختلافات بين السلالات البشرية أكبر مما تجده بين الجماعات اليهودية في مختلِف القارات؛ وليس مما يقبله العقل أن تكون هذه الطوائف كلها من سلالة جنسية واحدة+[2].

ونظرا لأن اختلاف اليهود في بعض الصفات الجسمية؛ كشكل الشعر ولونه، ولون البشرة، والقامة، والأنف، وسحنة الوجه.. قد ينازَع في دلالته على تنوعهم العرقي؛ لتأثر هذه الصفات نسبيا بالعوامل البيئية، وأنماط العيش؛ قرر الدكتور جمال حمدان في كتابه الشهير (اليهود أنثروبولوجيا)

(1) كامل سعفان، "اليهود من سراديب الجيتو إلى مقاصر الفاتيكان+، ط. دار الفضيلة (بلا تاريخ)، ص: 271.

(2) الاستعمار والمذاهب الاستعمارية، ط. دار المعارف، ط.3، (1957م)، ص: 138-139.

الاعتماد في الاستدلال على تنوع اليهود عرقيا على "الصفات الجنسية التي تعد محور الدراسات الأنثروبولوجية جميعا [و] ترتبط مباشرة بالوراثة ولا تكاد تتأثر بالبيئة، ويمكن أن تكون مؤشرا وثيقا على الأصول الأولى، ومقياسا ومحكا للنقاوة أو الخلط؛ إنها لا شك شكل الرأس+[1]؛ فذكر أولا أن "الإجماع بين الأنثروبولوجيين كامل على أن يهود عصر التوراة في فلسطين هم مجموعة سامية من سلالة البحر المتوسط، بصفاتها التي نعرف ونرى اليوم؛ من سمرة في الشعر، وتوسط في القامة، و**طول إلى توسط في الرأس**+[2].

وبعد إيراده إحصاءات تفصيلية حول شكل الرأس لدى المجموعات اليهودية في العالم، أجمل النتيجة في قوله: "من هذا المسح السريع نصل إذن إلى أن اليهود يقعون من حيث شكل الرأس في مجموعتين: عراض رؤوس، وطوال رؤوس.. تزيد مجموعة عراض الرؤوس على (80 إلى90 %) على الأقل من كل يهود العالم، والأقلية الضئيلة الباقية هي طوال الرؤوس+[3].

وحيث إن يهود عصر التوراة كانوا ككل الساميين طوال الرؤوس بإجماع الأنثروبولوجيين "فإذا ما وجدنا رؤوسا غير ذالك بين يهود اليوم؛ فليس ثمة إلا تفسير واحد ووحيد لا سبيل إلى الشك فيه، وهو اختلاط الدم [اليهودي] بعناصر غريبة+[4].

---

(1) اليهود أنثروبولوجيا، ص: 141-142.

(2) نفسه، ص: 123.

(3) نفسه، ص: 146.

(4) نفسه، ص: 142.

ويمكن صياغة هذا (الدليل الرأسي) الـذي اعتمـده حمـدان وعـده "محـور الدراسات الأنثروبولوجية+ كما يلي:

- يهود بني إسرائيل طوال الرؤوس بإجماع الأنثروبولوجيين.
- يهود اليوم في معظمهم عراض الرؤوس، كما أثبتت الدراسات التي أجريت عليهم.
- إذن: يهود اليوم ليسوا في معظمهم من سلالة بني إسرائيل.

أسباب تنوع اليهود عرقيا، وندرة السلالة الإسرائيلية بينهم

يتوهم كـثير مـن النـاس أن اليهـود في جميـع أنحـاء العـالم سـلالة عرقيـة واحـدة، وأنهـم ينحـدرون جميعـا مـن سـلالة بـني إسـرائيل الـذين أجلاهـم الآشوريون والبابليون ثم الرومان عن فلسـطين، وشـاع الـوهم بـأن الانتمـاء الديني لليهودية يعني تلقائيا الانتماء العرقـي لـبني إسـرائيل؛ والحـال أن الـذي يثبته العلم ويؤكده الواقع أن اليهـود مـن أشـد الطوائـف تنوعـا مـن الناحيـة العرقية؛ وهذا ما أكده غير واحد من علماء التاريخ والأنثروبولوجيا الغـربيين؛ وقد مر بنا قبل قليل طائفة من أقولهم في ذلك.

وهذا التنوع السلالي لدى اليهود، يرجع إلى ثلاثة أسباب رئيسية

السبب الأول: الزواج المختلط

لم تكن شرائع أنبياء بني إسرائيل في الأصل تمنع الزواج المختلط بـين بـني إسرائيل وغيرهم؛ بدليل زواج يوسف من مصرية[1]، وزواج أخيـه يهـوذا بـن

(1) سفر التكوين: 41/ 45.

يعقوب من كنعانية[1]. وكذا زواج موسى من صفورة بنت كاهن مدين[2]؛ وهي عربية، ثم من امرأة حبشية[3]، وزواج سليمان من غير الإسرائيليات[4]...

ولكن لما ابتدعوا بدعة "الاختيار الإلهي+ لهم، وزعموا أنهم "شعب الله المختار+، وتساموا عن "الأمميين+ (وهم غير بني إسرائيل في اصطلاحهم)، حرموا الزواج المختلط بينهم وبين غيرهم حفاظا على نقاء "النسل المقدس+، وحذرا من أن يدخل في "الشعب المختار+ من ليس منه.

فقد أوصى "الرب+ – حسب ما كتب في العهد القديم – شعب إسرائيل قبل دخوله أرض كنعان قائلا: "مَتَى أَتَى بِكَ الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى الأَرْضِ التِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكَهَا، وَطَرَدَ شُعُوباً كَثِيرَةً مِنْ أَمَامِكَ: الحِثِّيِّينَ وَالجِرْجَاشِيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالكَنْعَانِيِّينَ وَالفِرِزِّيِّينَ وَالحِوِّيِّينَ وَاليَبُوسِيِّينَ؛ سَبْعَ

(1) جاء في سفر التكوين: 38 / 2-3 "ونظر يهوذا هناك ابنة رجل كنعاني اسمه شوع فأخذها ودخل عليها، فحبلت وولدت ابنا ودعا اسمه عيرا+.

(2) كما في سفر الخروج: 2/ 21-22: "فقبل موسى أن يقيم عند الرجل [كاهن مدين كما يصفونه] فزوجه صفورة ابنته+، وقد ذكر القرآن أن موسى تزوج بنت شيخ مدين إذ فر إليها من ظلم فرعون في قوله ﷻ: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖ﴾القصص: 27.

(3) جاء في سفر العدد: 12/ 1: "وتكلمت مريم وهرون في موسى بسبب المرأة الحبشية التي تزوجها؛ لأنه كان قد اتخذ امرأة حبشية+.

(4) ففي سفر الملوك الأول: 3/ 1: "وصاهر سليمان فرعون ملك مصر وأخذ بنت فرعون+، وفي السفر نفسه: 11/ 1: "وأحب الملك سليمان نساء غريبات كثيرة مع بنت فرعون؛ موآبيات وعمونيات وآدوميات وصيدونيات وحثيات+.

شُعُوبٍ أَكْثَرَ وَأَعْظَمَ مِنْكَ، وَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ إِلهُكَ أَمَامَكَ وَضَرَبْتَهُمْ فَإِنَّكَ تُحَرِّمُهُمْ؛ لا تَقْطَعْ لهُمْ عَهْداً، وَلا تُشْفِقْ عَلَيْهِمْ، وَلا تُصَاهِرْهُمْ؛ ابْنَتَكَ لا تُعْطِ لابْنِهِ، وَابْنَتَهُ لا تَأْخُذْ لابْنِكَ+[1].

فهذا نص في منع الإسرائيليين من مصاهرة الأمم المذكورة؛ ولكن أحبار اليهود عملوا على "تفسير حظر الزواج من أبناء الأمم الكنعانية السبع .. ووسعوا نطاقه بحيث أصبح ينطبق على جميع الأغيار من غير تمييز+[2].

ولكن هل حافظ اليهود على الوصايا التي تمنع الإسرائيلي من مصاهرة "الأممي+؟

تاريخهم وواقعهم الحالي ينفي ذلك، ويثبت أنهم تعاطوا الزواج المختلط في كل مراحل تاريخهم؛ كما تفيد أسفارهم والدراسات التي أجريت عليهم في هذا العصر. فبعد خروج بني إسرائيل من مصر – كما يحكي العهد القديم – دخلوا أرض فلسطين وأقاموا "وَسَطَ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْفِرِّزِيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، وَاتَّخَذُوا بَنَاتِهِمْ لأَنْفُسِهِمْ نِسَاءً، وَأَعْطُوا بَنَاتِهِمْ لِبَنِيهِمْ+[3].

وكذلك فعلوا بعد الأسر البابلي؛ حيث تصاهروا مع مختلِف الأقوام من المذكورين في النص السابق، والعمونيين، والموآبيين، والمصريين؛ "وَاخْتَلَطَ

(1) سفر التثنية: 7/ 1-3.

(2) عبد الوهاب المسيري، "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية+: 5/ 240.

(3) سفر القضاة: 3/ 5-6.

الزَّرْعُ الْمُقَدَّسُ بِشُعُوبِ الأَرَاضي+[1]. ويقصدون بـ (الـزَّرْع الْمُقَـدَّس) نسـل بني إسرائيل.

هكذا استمر اليهود في خرق شـريعة حظـر الـزواج مـن "الأغيـار+ عـبر تاريخهم بكل مراحله، أما في العصر الحالي، فقد عرفت نسب الزواج المخـتلط بيـنهم وبـين غيرهـم تصـاعدا كـبيرا، أثـار قلـق القيـادات اليهوديـة حتـى سموه "الهولوكوست الصامت+؛ فقد وصلت نسبة الزيجات المختلطـة في كـوبن هاجن بين عامي (1880و1905) إلى (68%) من جملة الزيجـات [اليهوديـة]، ووصلت في ألمانيا (عام 1932) إلى نحو ستين زيجة مُختلَطة بين كل مائـة زيجـة يهودية، وفي أمستردام 70% (عام 1930). وفي الولايات المتحدة تصل النسبة في الوقت الحاضر [التسعينات] إلى أعلى مـن هـذا في بعـض المنـاطق، ولكـن النسبة العامة بين عامي 1985 و1990 هي 25% من كل الزيجـات اليهوديـة .. وتصل النسبة في بعـض المنـاطق إلى 80%، وفي روسـيا وأوكرانيـا وروسـيا البيضاء لا يختلف الوضع عن هذا كثيراً+[2]. وذكرت مجلة (التايم) الأمريكيـة عام (1975م) "أن اليهود الأمريكيين ميالون إلى الزواج مـن خـارج ملـتهم... وأن ثلث حالات الزواج هي من غير ملتهم+[3].

(1) سفر عزرا: 9/ 2.

(2) عبد الوهاب المسيري، "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية+: 2/ 88.

(3) روجي جارودي، "فلسطين أرض الرسالات السماوية+، ص: 173.

السبب الثاني: حوادث الاغتصاب

كانت الاضطهادات والحروب التي حلت باليهود على مر العصور من قِبَل غيرهم لا تخلو من سبي واغتصاب لنسائهم؛ فينشأ الأطفال المتولدون عن ذلك يهودا على يد أمهاتهم اليهوديات، ويحسبون على الجماعات اليهودية، مع أن آباءهم ليسوا من بني إسرائيل.

يحكي المؤرخ هاينريش جرايتز في كتابه: (تاريخ اليهود)[1] "أن شخصا يدعى يهودا بن حزقيل عارض زواج ابنه من امرأة لم تكن من سلالة سيدنا إبراهيم[2]، وعندئذ قال له صديقه (أولا) (Ulla): ولكن خبِّرني كيف لنا أن نتحقق أننا أنفسنا لا ننحدر من الوثنيين الذين اغتصبوا عذارى صهيون أثناء حصار بيت المقدس؟+[3].

ويروي في موضع آخر رواية أخرى ذات مغزى عميق فيما يتعلق بالأصول العرقية لبعض يهود اليوم؛ تقول الرواية: "إن أفراد وحدة ألمانية اسمها وحدة فانجيوني (Vangioni) حاربوا مع الحاميات الرومانية في فلسطين، وهناك اختاروا من بين حشود الأسرى اليهود أجمل الفتيات، وأخذوهن معهم إلى قواعدهم على شواطئ الراين والمين، وأجبروهن على أن

---

(1) - 2/ 213.

(2) هذا لا يعني أن اليهود يستبيحون مصاهرة غير الإسرائيليين من ذرية إبراهيم؛ لأن الرجل يقصد أن المرأة ليست إسرائيلية؛ لاعتقاد اليهود أن الإسرائيليين وحدهم نسل إبراهيم؛ وذلك أن الله -كما كتبوا في توراتهم- قال لإبراهيم: "بإسحاق يكون لك نسل+ [سفر التكوين:21/ 12]، ولأن إسحاق -بزعمهم -إنما بارك إسرائيل دون عيسو؛ فانفرد الإسرائيليون دون بقية فروع إبراهيم بالانتساب إلى السلالة الإبراهيمية.

(3) آرثر كيستلر، "القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم+، ص:187.

يخضعن لشهواتهم، وما نتج عن هذه العملية من أطفال من آباء ألمان ونساء يهوديات تولى هؤلاء الأمهات تربيتهم طبقا للعقيدة اليهودية دون أن يهتم الآباء بأمرهم، ويقال: إن هؤلاء الأطفال هم الذين أسسوا الجماعات اليهودية الأولى التي استوطنت الأراضي الواقعة بين [المدينتين الألمانيتين] ورمز (Worms) وماينز (Mayence)+[1].

فهل من حق مثل هؤلاء أن يدعوا أن أرض فلسطين أرض أجدادهم؟

السبب الثالث: التهود

يقصد بـ (التهود) تحول غير الإسرائيلي عن دينه إلى الدين اليهودي، وهو من العوامل الرئيسية للتنوع السلالي لدى اليهود.

فالديانة اليهودية -على خلاف ما هو رائج- كغيرها من الأديان لا تمانع دخول غير أتباعها الأصليين (وهم الإسرائيليون) إليها، يقول الحاخام حاييم ناحوم (حاخام اليهود في مصر): "اليهودية دين يمكن أن يؤمن بها الفرنسي، والإيطالي، والمصري، وأي إنسان؛ فهي ليست قومية، وإنما هي دين، والدين لله والولاء للوطن+[2].

فإن من الحقائق التي قررتها نصوص الوحي، وأثبتتها وقائع التاريخ، وأكدتها التجربة أن الإنسان ميال إلى أن يشاركه غيره فيما يؤمن به من المعتقدات وما يتبناه من الأفكار والتصورات، ولا يطمئن إلى الغير ويرتاح إليه

---

(1) هاينريش جرايتز، "تاريخ اليهود+: 3/ 40-41، عن آرثر كيستلر، "القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم+، ص:187-188.

(2) وجيه أبو ذكرى، "حاخام اليهود+، مجلة آخر ساعة المصرية، عدد: 14/ 4/ 1965م، عن محمد أحمد محمود حسن "اليهودية التبشيرية في الكتب المقدسة+، ص: 54.

ويرضى عنه حتى يشاركه بصدق مذهبه وملته؛ إن قول الله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[1]، وإن تعلق فيه الحكم المذكور بأهل ملتين معينتين، يصح أن يجرد ويعمم، ويجعل قانونا عاما وقاعدة كلية تنطبق على كل حامل عقيدة أو رأي؛ فيقال: لن يرضى عنك كل ذي مذهب وملة حتى تتبع مذهبه وملته.

وهكذا فإن اليهود – مثلهم مثل غيرهم – قد مارسوا التبشير في مختلف مراحل تاريخهم؛ وهذا ما سجلته أسفارهم، ونصت عليه المصادر المسيحية والإسلامية، وأكده المؤرخون والعلماء الأنثروبولوجيون منهم ومن غيرهم.

ونحن إذ نسرد وقائع التهويد من مصادرهم إنما نفعل ذلك على سبيل الإلزام، لا على وجه الاحتجاج بها لحكم أو حقيقة تاريخية.

- ففي العهد القديم نجد قصصا لبعض من آمن باليهودية من غير بني إسرائيل رغبة أو رهبة؛ وسيأتي بعض ذلك عند الحديث عن يهود بابل.

و"في كتابات أشعيا الثاني، وسفر روث، وسفر يونان، وسفر يهوديت الخارجي نصادف مرارا دعوات مباشرة وغير مباشرة تسعى إلى اجتذاب الأغيار إلى اليهودية، بل وإقناع العالم قاطبة بقبول "شريعة موسى++[2].

ب- ويحذر التلمود من خطر التهويد على جماعة إسرائيل في قول أحد الحاخامات التلموديين، وهو الحاخام (حليفو): "المتهودون أخطر على

(1) سورة البقرة: 120.

(2) شلومو ساند، "اختراع الشعب اليهودي+، ترجمة سعيد عياش، ط. مكتبة الأهلية، الأردن، والمركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، رام الله، (2011)، ص: 202.

إسرائيل من الجرب+[1]، ومع أن هذا النص يوحي بأن بعض الحاخامات كانوا يميلون إلى منع التبشير باليهودية حفاظا على نقاوة السلالة الإسرائيلية؛ فإنه دليل في الوقت ذاته على أن التهود حاصل في زمان (حليفو) بمستوى ينذر بما يراه خطر اجتياح المتهودين من "الأغيار+ للجماعة الإسرائيلية. إضافة إلى أنه رأي شخصي "لا يعكس بأي شكل من الأشكال موقف التلمود تجاه التهويد والمتهودين؛ إذ يمكن أن تطرح في مقابله أقوال الحاخام أليعازار التي لا تقل جزما، والتي قيلت كما يبدو قبل ذلك، والتي جاء فيها: "لم ينف المقدس تبارك إسرائيل بين الأمم إلا لكي ينضم إليها متهودون++[2].

ج- وكان مما أنكره المسيح – حسب العهد الجديد – على اليهود أنهم ينشطون في دعوة الناس إلى دينهم، وهم غير متمسكين به؛ فإن دخل المدعو في الدين دخل فيه على طريقتهم فاستحق النار: :"وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ[3] الْمُرَاؤُونَ؛ لأَنَّكُمْ تَطُوفُونَ الْبَحْرَ وَالْبَرَّ لِتَكْسَبُوا

(1) نفسه، ص: 201.

(2) نفسه، ص: 227.

(3) (الكتبة) و (الفريسيون) لقبان لطائفة من طوائف اليهود؛ فـ (الفريسيون): اسمهم العام، و (الكتبة): لقب لرؤسائهم المستأثرين بعلم الشريعة، المكلفين بكتابتها وتفسيرها وتعليمها، وتتسم هذه الطائفة بالرياء وادعاء الصلاح والانفراد باستحقاق النجاة والفوز في الآخرة، يتمسكون برسوم الشريعة ويضيعون حدودها، وهم خلفاء (الحسيديين) أي المتظاهرين بالطهر والتقوى، قوي نفوذهم بمساندة السلطان؛ فسيطروا على الحياة الدينية لليهود، وكان لهم دور هام في التآمر على صلب عيسى، يقولون بالقدَر ويؤمنون – عكس الصدوقيين - بالبعث والجزاء والملائكة والجن والشيطان، ويعتمدون الشريعة الشفوية إلى جانب التوراة المكتوبة. "قاموس الكتاب المقدس+ حرفا (ف) و (كـ)، و"دائرة المعارف الكتابيةّ+ حرفا (ف) و (كـ)، وعبد المجيد

دَخِيلاً[1] وَاحِداً، وَمَتَى حَصَلَ تَصْنَعُونَهُ ابْناً لِجَهَنَّمَ أَكْثَرَ مِنْكُمْ+[2].

فهذا إن صح- صريح في أن اليهود يبشرون ويحماس بدينهم.

د- ويقص القرآن من أمر موسى أنه توجه بدعوته إلى فرعون، ودعاه إلى دينه، وقال: ﴿هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾[3]، وأنه بعد انتصاره الباهر في المغالبة التي جرت بينه وبين سحرة فرعون أقنع السحرة بصدق نبوته وصحة دينه؛ فـ ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾[4]؛ وما كان فرعون ولا السحرة من بني إسرائيل.

ومن حرص اليهود – مثل النصارى – على أن يتبع الناس ملتهم أن قال عنهم القرآن: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[5]، وأن ادعوا أن المهدي من اتبع دينهم حين ﴿قَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾[6].

فكل هذا مما ينفي كون اليهودية ديانة قومية لا تبشيرية.

همو، "الفرق والمذاهب اليهودية+، ط. دار الأوائل، الطبعة الثالثة، دمشق (1425هـ/ 2004م)، ص:54 و73، ومحمد العلامي، "الحركات الدينية والاجتماعية في فلسطين من القرن 2.ق.م إلى: القرن 1.م+، مجلة جامعة الخليل للبحوث، المجلد2، العدد2، (2006)، ص: 3-4.

(1) قال المشرفون على طبع الكتاب "المقدس+ في تعليقهم على هذا النص، 2/ 100، هامش: 9: "(الدخيل) من كان وثنيا فاهتدى إلى الدين اليهودي+.

(2) إنجيل متى: 23/ 15.

(3) سورة النازعات: 18-19.

(4) سورة طه: 70.

(5) سورة البقرة: 120.

(6) سورة البقرة: 135.

ويؤيد حقيقة كون اليهودية ديانة تبشيرية ما سجله الواقع التاريخي لليهود في كل أماكن تواجدهم من ممارستهم التبشير بدينهم في أوساط الشعوب الأخرى، وهي حقيقة تاريخية أكدها غير واحد من العلماء والمؤرخين.

فقد عد المؤرخ والعالم البريطاني اليهودي آرثر كيستلر من الدلائل التاريخية الشاهدة "على حماس يهود العصور القديمة للتبشير بديانتهم: أن اعتنقها فلاشا الحبشة ذوو البشرة السوداء، ويهود كاي فنج الصينيون...، واليهود اليمنيون، و..الخزر؛ وفي بلاد أقرب من تلك وصل التبشير اليهودي ذروته في عصر الإمبراطورية الرومانية+[1].

وفي دائرة المعارف البريطانية: "لقد نشط اليهود إلى التبشير باليهودية بين مختلف الشعوب عندما رأوا الوثنية قوية النفوذ منتشرة في العالم، والكُتاب القدماء اليونان والرومان يشهدون بقوة النشاط التبشيري الذي قام به اليهود، وكيف تم نشر اليهودية في أواسط وغرب آسيا؛ أصل يهود العالم اليوم+[2].

ويحكي مارتن لوثر واقعة ذات مغزى فيما نحن بصدده حصلت معه شخصيا؛ ويتعلق الأمر فيها بنفر من اليهود أتوه وحاولوا تهويده؛ فقال: "قصدني ثلاثة من أحبار اليهود علماء في الناموس الموسوي، يحدوهم الأمل أن يجدوا فيَّ يهوديا جديدا يضاف إلى قافلتهم+[3]، ويقول لأتباعه: "اعلم

(1) "القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم+، ص: 185.

(2) مادة (Judaism)، مجلد 13، ص: 165.

(3) مارتن لوثر، "اليهود وأكاذيبهم+، ترجمة محمود النجيري، ط. مكتبة النافذة، الجيزة، الطبعة.1، ص: 95.

يا عزيزي المسيحي أنه ليس بعد الشيطان عدو أكثر سما من اليهودي المحض، الذي يجهد أن يراك قد تهودت واتبعته+[1]، ومغزى ما حكاه وقاله لوثر أن اليهود كانوا يجتهدون في دعوة نصارى الغرب إلى اليهودية حتى في عز اليقظة المسيحية التي عرفتها أروبا في القرن السادس عشر إبان ما سمي الإصلاح الديني، حين ثار (البروتستانت) على الكنيسة التقليدية.

ومن أدق من برهن على حصول التبشير باليهودية تاريخيا البروفسور شلومو ساند أستاذ التاريخ المعاصر في جامعة تل أبيب، في كتابه: (اختراع الشعب اليهودي)؛ منطلقا من أن العقائد التوحيدية -خلافا للعقائد الوثنية التي تقبل بتعدد الآلهة- تحث المؤمنين بها دوما على نشر مبدأ الوحدانية بين الوثنيين، "ولم تكن الديانة اليهودية.. شاذة.. عن هذه القاعدة+[2]؛ ومن الإثباتات التي استند إليها:

- أن وثائق من المدينة السومرية (نيبور) تعود إلى الحقبة الفارسية تتضمن أسماء البابليين وجد فيها أن جزءا كبيرا مما تضمنته من أسماء الآباء أسماء بابلية اعتيادية، بينما أسماء أولادهم أسماء عبرية صرفة، ومثلها وثائق من ورق البردي اكتشفت في جزيرة إلفانتين تتضمن أسماء مصريين قدماء؛ وكانت فيها أسماء الآباء مصرية فيما أسماء الأبناء عبرية؛ ودلالة ذلك أن عملية تهويد تمت وسط هؤلاء حملتهم على تغيير ديانتهم الوثنية إلى اليهودية؛ لأن المهاجرين اليهود إلى بابل ومصر لم يكونوا يحملون أسماء بابلية أو مصرية مما يعني أن

(1) نفسه، ص: 99.

(2) اختراع الشعب اليهودي، ص: 202-203.

هؤلاء الآباء تهودوا واختاروا لأبنائهم أسماء تتفق مع هويتهم الجديدة[1].

- النتائج العلمية التي توصل إليها بعض الباحثين الأكاديميين في تاريخ الجماعات اليهودية؛ مثل الباحث "الإسرائيلي+ (أوريئيل رابورت) في أطروحته للدكتوراه: (الدعاية الدينية اليهودية وحركة التهويد في فترة الهيكل الثاني) التي حاول فيها توجيه الأنظار إلى حركة التهويد الواسعة التي مارسها اليهود في هذه الفترة، وتوصل فيها إلى أن "تعاظم اليهودية في العالم القديم لا يمكن تفسيره -بسبب حجمه الهائل- بواسطة النمو السكاني الطبيعي عن طريق الهجرة من أرض الوطن، أو من خلال أي تفسير آخر لا يأخذ في الحسبان حركة الالتحاق بها من الخارج+[2]. ومثل ما أكده البروفسور تيودور مومزن في دراسة له اعتمادا على باحثين متخصصين في التاريخ القديم من أن "اليهودية في العصر القديم لم تكن بتاتا منغلقة أو منعزلة، على العكس فقد كان يملؤها الحماس للتهويد بدرجة لا تقل عن المسيحية والإسلام من بعدها+[3].
- نصوص تاريخية تحكي حماس الحشمونيين في فرض اليهودية على جيرانهم؛ وقصص أخرى للتهويد القسري والطوعي في أوساط

(1) نفسة، ص: 204.

(2) أوريئيل رابورت، "الدعاية الدينية اليهودية وحركة التهويد في فترة الهيكل الثاني+، ص: 151، عن: اختراع الشعب اليهودي، ص: 205.

(3) اختراع الشعب اليهودي، ص: 205.

مختلف الطبقات المجتمعية للشعوب المجاورة وغيرها؛ منها ما اقتبسه من المؤرخ اليهودي يوسيفوس في كتابه (تاريخ اليهود) أن يوحنان هوركنوس استولى عام 125 قبل الميلاد على بلاد أدوم[1] "وتغلب على كل الأدوميين، لكنه سمح لهم بالبقاء في البلاد إذا ما تختنوا ورضوا بتطبيق تعاليم وأحكام اليهودية...، ومنذ ذلك الوقت صار هؤلاء يهودا+[2]. وقد سار ابن هوركنوس (يهودا أرسطو بولس) على خطى أبيه في سياسة التهويد القسري لغير اليهود؛ حيث "قام سنة 104[ق.م] بضم منطقة الجليل إلى مملكة يهودا وفرض العقيدة اليهودية على اليطوريم الذين قطنوا وعمروا وقتئذ المنطقة الشمالية بأكملها+[3]. ومنها قصة تهود أمراء المملكة الحديبية القائمة شمال الهلال الخصيب على يد مبشرين وتجار يهود[4].

ومن نتائج التبشير باليهودية – إضافة إلى عوامل أخرى – أن اعتنقها أفراد كثيرون، وشعوب من أجناس مختلفة؛ ومن اليهود غير الإسرائيليين:

(1) (أدوم): ناحية بمنطقة جبل سعير في أرض كنعان جنوب فلسطين حاليا، وهي حسب الرواية التوراتية المنطقة التي يقطنها الأدوميون أبناء أدوم وهو عيسو بن إسحاق شقيق يعقوب عليه السلام.

(2) اختراع الشعب اليهودي، ص: 209.

(3) نفسه، ص: 211.

(4) نفسه، ص: 218.

❶ يهود بابل

حينما كان يهود بني إسرائيل أسرى بأرض بابل عملوا – كما تسجل أسفارهم – على إدخال بعض سكان البلاد إلى دينهم أحيانا بالإقناع وأحيانا بالإكراه.

ففي عهد ملك فارس أحشورش عظُم شأن اليهود – كما يحكي سفر أستير اللازم للمؤمنين به – حتى أشركوا في الملك، بسبب زواج الملك من المرأة اليهودية (أستير)، وافتتانه بجمالها؛ مما مكنها من التأثير في قراراته، وهي ابنة عم مردخاي؛ أحد خدام البلاط الملكي الذي أصبح محل الوزير الأول لدى أحشورش (هامان بن همداتا الأتاجي) بعد أن أعدم بتدبير من مردخاي وأستير.

وبلغ من قوة نفوذهم أن أطلق الملك أيديهم لينتقموا من كل من اضطهدهم؛ فـ"كَانَ لِلْيَهُودِ نُورٌ وَفَرَحٌ..، **وَصَارَ كَثِيرٌ مِنْ شُعُوبِ تِلْكَ الأَرْضِ يَهُوداً**؛ لأَنَّ خَوْفَ الْيَهُودِ وَقَعَ عَلَيْهِمْ+[1].

ويحكي سفر دانيال من شأن ملك بابل (داريوس بن أحشورش الميدي) أنه شهر إيمانه، تأثرا بمعجزات النبي دانيال؛ إذ ألقي مع الأسود في جُبها، فلم يمسسه منها سوء، ووجَّه هذا الأمر إلى رعاياه: "مِنْ قِبَلِي صَدَرَ أَمْرٌ بِأَنَّهُ فِي كُلِّ سُلْطَانِ مَمْلَكَتِي يَرْتَعِدُونَ وَيَخَافُونَ [أي ليرتعدوا وليخافوا] قُدَّامَ إِلَهِ دَانِيَالَ، لأَنَّهُ هُوَ الإِلَهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ إِلَى الأَبَدِ، وَمَلَكُوتُهُ لَنْ يَزُولَ وَسُلْطَانُهُ إِلَى

(1) سفر أستير: 8/ 15-17

الْمُنْتَهَى، هُوَ يُنَجِّي وَيُنْقِذُ وَيَعْمَلُ الآيَاتِ وَالْعَجَائِبَ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ، هُوَ الَّذِي نَجَّى دَانِيالَ مِنْ يَدِ الأُسُود+[1].

فهذا الأمر الملكي وإن كان لا يحمل طابع الإلزام باتباع دانيال، لا بد أن يحدث أثره في الناس، ويوجههم إلى الإعجاب به واتباع دينه.

❷ اليهود الأمازيغ

انتشار اليهودية بين الأمازيغ في عهود ما قبل الإسلام موضوع أثار اهتمام بعض الباحثين، فأفردوه بالتأليف؛ كما فعل الكاتب الإسباني (أبراهام لاريدو) إذ كتب مؤلفه: (يهود البربر في المغرب).

وحكت لي باحثة –والعهدة عليها– أنها عثرت في منطقة (تفراوت) بجهة سوس في المغرب على مخطوط قديم يتحدث عن يهود الأمازيغ، فعزمت على تحقيقه في إطار بحث أكاديمي، واقترحت الأمر على (محمد أركون)، فقبل الإشراف على البحث، وبعد أيام وردتها رسالة تهديد من جهة مجهولة بإيقاف البحث، وبعد عودتها إلى الزاوية حيث يحفظ المخطوط وجدته مفقودا.

وتعود بداية التواجد اليهودي في المغرب – على ما رجحه الدكتور عبد الرحمن بشير في كتابه "اليهود في المغرب العربي+– إلى أعقاب الجلاء الأول لليهود (سنة 586.ق.م) على يد البابليين؛ فقد كان المغرب من البلاد التي توجهوا إليها بعد الجلاء، ثم توالت هجراتهم إليه بتوالي النكبات عليهم في أماكن تواجدهم، ولكن "رغم استمرار الهجرة ظل عدد اليهود قليلا في الشمال

(1) سفر دانيال: 6/ 26-28

الإفريقي، ولم يجدوا من سبيل إلى زيادة هذا العدد سوى استمالة البربر إلى عقيدتهم... فبدؤوا عملية تهويد واسعة النطاق بينهم+[1].

وتحت عنوان: (المتهودون من البربر)، أورد الباحث عبد الرحمن بشير في كتابه سالف الذكر أسماء بعض القبائل التي انتشرت اليهودية فيها، نقلا عن ابن خلدون[2]، وابن أبي زرع[3] ؛ وهي:

- نفوسة، في جنوب غرب طرابلس بليبيا.
- جراوة، في جبال الأوراس بتونس، وتعود أصولها إلى قبيلة زناتة.
- مديونة، بنواحي تلمسان.
- برغواطة ببلاد تامسنا؛ وهي الشاوية اليوم؛ وهي من القبائل الأمازيغية التي تعربت.
- فندلاوة، بنواحي صفرو، قرب فاس.
- بهلولة بضواحي فاس.
- غياتة في نواحي تازة، قرب فاس.
- زواغة وبني يزغت، الذين قطنوا منطقة فاس قبل تأسيسها[4].

---

(1) عبد الرحمن بشير، "اليهود في المغرب العربي+، ط. مؤسسة عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة.1، مصر (2001)، ص: 59.

(2) تاريخ ابن خلدون: 4/ 12، و 6/ 107.

(3) الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ فاس، ص: 31.

(4) عبد الرحمن بشير، "اليهود في المغرب العربي+، ص: 62-67.

➢ كما عمل اليهود على "تهويد بعض قبائل البتر+[1]؛ وهم بنو مادغيس الأبتر، وهم قبائل كثيرة منتشرة في أقطار المغرب، وأكبرها قبيلة نفوسة بجنوب غرب طرابلس[2].

وقد كان لليهود الأمازيغ تواجد أيضا بمنطقة سوس، وبأحواز مراكش، وغيرها من المناطق الأمازيغية بالمغرب.

فهؤلاء كلهم من أصول أمازيغية عريقة؛ و«ما كان يهود المغرب في أصولهم إلا مغاربة أقحاحا، رفضوا في قديم العهود الوثنية، واعتنقوا التوحيد الموسوي لما بلغتهم الرسالة»[3]. فكيف تأتى للصهيونية أن تقنع من اقتنع بأن هجرتهم إلى "إسرائيل+ عودة إلى أرض أجدادهم؟

❸ اليهود العرب

تحت عنوان (أديان العرب)، ذكر اليعقوبي أن العرب كانوا على بعض دين إبراهيم، حتى أدخل عليهم (عمرو بن لحي) الملة الوثنية، فاستقروا زمنا على "هاتين الشريعتين .. ثم دخل قوم من العرب في دين اليهود، وفارقوا هذا الدين، ودخل آخرون في النصرانية، وتزندق منهم قوم ..، فأما من تهود منهم فاليمن بأسرها..، وتهود قوم من الأوس والخزرج بعد خروجهم من اليمن،

---

(1) عطا علي محمد رية، "اليهود في بلاد المغرب الأقصى في عهد المرينيين والوطاسيين+، ط. دار الكلمة، الطبعة.1، دمشق (1999)، ص: 25.

(2) اعتمدت في التعريف بالقبائل الأمازيغية المذكورة – إضافة إلى المرجعين أعلاه اللذين عرفا ببعضها – على تاريخ ابن خلدون والاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، للناصري، وكتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق+ للإدريسي.

(3) الدكتور أحمد شحلان، "اليهود المغاربة من منبت الأصول إلى رياح الفرقة+، ط. دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، الطبعة.1، (2009م)، ص: 11.

لمجاورتهم يهود خيبر وقريظة والنضير، وتهود قوم من بني الحارث بن كعب، وقوم من غسان، وقوم من جذام+[1].

وكان من نساء يثرب ممن ابتلين بموت الأولاد مَنْ "تجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده+[2]؛ وكانوا يجلون اليهود لفضلهم عليهم في العلم.

وقد اعترف إسرائيل ولفنسون – مع حرصه على ادعاء الأصول الإسرائيلية لكل اليهود العرب بـ "أن الأغلبية المطلقة التي كونت أنصار هذا الدين الجديد [يقصد اليهودية] في اليمن كانت من سكان البلاد الأصليين+[3].

❹ يهود الفلاشا

يمكن أن يضاف إلى اليهود غير الإسرائيليين (يهود الفلاشا)؛ وهم يهود الحبشة (إثيوبيا)؛ على رأي من يرى أنهم "ليسوا يهودا أصليين، وإنما هم إثيوبيون من قبيلة (أجاو)، تهودوا في زمن غير معروف+[4]، وكان تهَوُّدُهم إما "عن طريق يهود الجزيرة العربية، أو يهود مصر+[5]. وقد جزم بهذا الرأي

(1) أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، "كتاب التاريخ+، ط. ليدن، (1883م): 1/ 228.

(2) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في الأسير يكره على الإسلام، رقم (2682)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود، رقم (2682).

(3) "تاريخ اليهود في بلاد العرب+، ط. مطبعة الاعتماد، مصر (1345هـ/ 1927)، ص: 35.

(4) محمد جلاء، "يهود الفلاشا: أصولهم ومعتقداتهم+، ط. مكتبة مدبولي، القاهرة (1993)، ص: 33.

(5) صلاح عبد اللطيف، "الفلاشا: الخيانة والمحاكمة+، ط. مكتبة مدبولي، الط.1، القاهرة (1986)، ص: 21.

المؤرخ البريطاني اليهودي آرثر كيستلر في كلامه السابق إيراده؛ وفيه أن من الأجناس الغريبة المتهودة: فلاشا الحبشة[1].

وهو الرأي الذي تؤيده نتائج الدراسات الأنثروبولوجية؛ لما بين (الفلاشا) و(بني إسرائيل) من الفوارق الجسمية الكثيرة؛ فاليهودي الفلاشي يتميز بلونه الأسود، وشعره المجعد، وأنفه الأفطس الواسع المنخرين، وجبهته العريضة؛ وكلها سمات مغايرة لصفات العرق السامي المعروفة؛ لهذا "يرجع بعض علماء الأجناس البشرية أصولهم إلى أنهم من أبناء حام بن نوح+"[2].

ولا يردُ على هذا الدليل ادعاءُ أن الفلاشا اكتسبوا هذه السمات الإفريقية بفعل التأثيرات البيئية للبلاد التي طال مقامهم فيها؛ لأن التغيرات التي تطرأ على الناس بفعل التأثيرات البيئية لا تصل – كما هو مشاهد – إلى درجة تغير اللون من البياض إلى السواد أو العكس، بله تغير ملامح الوجه، وشكل الأنف والرأس، وطبيعة الشعر؛ وإلا فلماذا لم يبيض سود أمريكا، ولم يسود بيض جنوب إفريقيا، ولم تتغير ملامحهم وأشعارهم بفعل التأثير البيئي مع طول المقام؟

---

(1) "القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم"، ص: 185.

(2) صلاح عبد اللطيف، "الفلاشا: الخيانة والمحاكمة"، ص: 21.

أذاعت قناة الجزيرة في نشرة منتصف اليوم، ليوم الخميس 12 دجنبر 2013 خبرا يفيد أن فريقا طبيا "إسرائيليا" رفض قبول تبرع (تامبو شَنَّا) – وهي امرأة "إسرائيلية" عضو في الكنيست من أصل إثيوبي– بالدم، بدعوى أن الدم الإثيوبي مغاير للدم اليهودي، مع أن المبرر الوحيد لوجود أي يهودي على أرض فلسطين هو دعوى انحداره من السلالة الإسرائيلية.

❺ يهود الخزر

تاريخ الخزر وأصولهم موضوع خطير؛ لأن كشف أصولهم، وإبراز العلاقة النَّسَبِية بينهم وبين يهود اليوم يرجع تلقائيا على دعوى الصهيونية الحق اليهودي في فلسطين بالإبطال؛ فإنه إذا تقرر أن أصول الخزر غير إسرائيلية، وأن (90%) أو أكثر من يهود اليوم ينحدرون منهم؛ نتج تلقائيا أن يهود اليوم لا حق لهم – لا دينا ولا تاريخا – في أرض فلسطين.

أما أصولهم، فقد تواردت أقوال "معظم الباحثين الذين تناولوا تاريخ الخزر ..على أن الخزر شعب تركي عاش في أواسط آسيا+[1] ببلاد القوقاز على ضفاف نهر الفولجا.

وممن أكد على الأصول التركية للخزر المؤرخ دوغلاس دانلوب الذي جزم بأن "ليس هناك أدنى شك في أن الخزر هم أتراك+[2].

وكذلك المؤرخ اليهودي آرثر كيستلر الذي قرر "أن الخزر قبيلة تركية انطلقت من السهوب الآسيوية+[3] لتستقر في بلاد القوقاز.

وأورد كيستلر مما تضمنته "الرسائل الخزرية+ المتبادلة بين اليهودي الأندلسي (حسداي بن شبروط) وملك الخزر (يوسف بن أهرون): أن سأله ابن شبروط عن أصول الخزر؛ فأجابه الملك يوسف: "لقد عثرنا في سجلات

---

(1) محمد عبد الشافي، "مملكة الخزر اليهودية، وعلاقتها بالبزنطيين والمسلمين في العصور الوسطى+، ط. دار الوفاء، الإسكندرية (2002)، ص: 37.

(2) دوغلاس مورتن دانلوب، "تاريخ يهود الخزر+، ترجمة وتقديم: سهيل زكار، ط. دار إحسان، الطبعة.2، دمشق (1410هـ/ 1990م)، ص: 61.

(3) "القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم+، ص: 29.

الأسرة التي تركها آباؤنا: أنه كان لـ (تاجورما) عشرة أبناء، وأن أسماء ذريتهم هي كالآتي: أوجور – دورسر – آفار – هـون – بـازل – تارينـاخ – **خـزر** – زجور – بلغار – سابير ، وأننا نحن أبناء خزر؛ أي الذرية السابعة+[1].

و(تاجورما) الجد الأول للخزر هو من سلالة يافث بـن نـوح – حسـب التوراة – إذ نسبه فيها: (تاجورما بن جومر بن يافث بن نوح)[2].

وعليه فاليهود الخزريـون وهـم أغلبيـة يهـود اليـوم كمـا سـيأتي ليسـوا ساميين، بل هم من سلالة يافث بن نوح.

وقد كانت مملكة الخزر تمثل في زمانها القوة الثالثة في العـالم بعـد الدولـة الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية، وأنفَةً مـن التبعيـة السياسـية والدينيـة لأي من الدولتين "اعتنق ملك الخزر [الخاقان بولان] وحاشيته والطبقـة العسـكرية الحاكمة الديانة اليهودية+[3] سنة 740م على الأرجح[243]. فأصبحت الديانـة اليهودية منذ ذلك الحين ديانة رسمية لدولة وشعب الخزر.

وأما كون يهود اليوم – في معظمهم – ينحدرون من أصول خزرية؛ فهو حقيقة تواطـأت عليهـا "آراء .. المـؤرخين الحـديثين؛ سـواء كـانوا نمسـاويين أو إسـرائيليين أو بولنـديين؛ فقـد رأى كـل مـنهم علـى حـدة أن غالبيـة اليهـود العصريين ليسوا من أصل فلسطيني، بـل مـن أصـل قوقـازي+[4]. فهـذا آرثـر كيستلر يقرر جازما أن "الدليل التاريخي .. يوضح أن غالبية اليهود الشـرقيين –

(1) نفسه، ص: 74-75.

(2) سفر التكوين: 10/ 1-3.

(3) كيستلر "القبيلة الثالثة عشرة+، ص: 23.

(4) دانلوب؛ "تاريخ يهود الخزر+، ص: 177.

ومن ثم يهود العالم – هم من أصل خزري تركي، لا من أصل سامي ..و ..أن الدليل القائم على علم الأجناس يتفق مع التاريخ في دحض الاعتقاد.. بوجود جنس يهودي انحدر من قبيلة الأسفار الأولى+[1].

وفي بيان أوضح يؤكد أن "الغالبية الكبرى من اليهود في العالم كله في الوقت الحاضر هم من أصل أرويي شرقي؛ وبالتالي لعلهم في الدرجة الأولى من أصل خزري، فإن كان الأمر كذلك؛ فهذا يعني: أن أجدادهم... لم يجيئوا من أرض كنعان بل من القوقاز .. ثم إنهم من حيث التركيب الوراثي أقرب إلى قبائل الهون: الإيجور (Uigur) والماجيار (Magyar) منهم إلى ذرية إبراهيم وإسحاق ويعقوب+[2].

ونسبة الخزر في كل يهود تزيد على (90%)؛ إذ "يشكل المنحدرون من يهود الخزر في أيامنا هذه ما ليس أقل من تسعين بالمئة من يهود العالم+[3].

وفي دراسة عن يهود اليوم توصل بنيامين فريدمان إلى "أن من يزعمون أنفسهم يهودا المتحدرين تاريخيا من سلالة الخزر يشكلون أكثر من (92%) من جميع من يسمون أنفسهم يهودا في كل مكان من العالم اليوم +[4].

وإذا تبين أن اليهود المنحدرين من الخزر يمثلون وحدهم نسبة (92%) من يهود اليوم، والنسبة المتبقية، وهي (8%) يتوزعها مع الإسرائيليين اليهودُ

---

(1) "القبيلة الثالثة عشرة+، ص: 196.

(2) نفسه، ص: 24-25.

(3) "تاريخ يهود الخزر+، ص: 60.

(4) بنيامين فريدمان، "يهود اليوم ليسوا يهودا+، إعداد زهدي الفاتح، ط. دار النفائس، الطبعة.3، بيروت (1408هـ/ 1988م)، ص:44-45.

من الأجناس الأخرى؛ فكم عسى أن تكون النسبة التي يمثلها بين يهـود اليـوم اليهودُ المنحدرون من أسباط إسـرائيل الـذين يفـترض أنهـم اسـتوطنوا أرض فلسطين في وقت ما، وأنهم تلقوا وعودا إلهية بها كما يدعي كتبة التوراة ؟

❑ ❑ ❑ ❑

خاتمة

إذا تقرر أن الأصول العرقية لليهود الحاليين ليست إسرائيلية، بل ولا سامية؛ وأن الإسرائيليين أقلية ضئيلة بينهم، وكانت الحقائق التاريخية والعلمية الوارد بعضها في هذه الدراسة كافية لإقناعنا بذلك؛ لزم أن ندرك مدى التمويه والتضليل الذي مارسته الصهيونية على عقول الناس حين ادعت أن اليهود إذ هاجروا وهُجِّروا إلى فلسطين إنما عادوا إلى أرض أجدادهم (!)

ووجب أن تسقط وتبطل تلقائيا كل الدعاوى والأفكار الخاطئة المبنية على وهْم الوحدة العرقية لليهود، ووهْم انحدارهم جميعا من سلالة بني إسرائيل؛ ومن هذه الدعاوى والأفكار الخاطئة:

- دعوى انطباق ما في العهد القديم من "الوعد الإلهي بأرض الميعاد+ لبني إسرائيل، وانطباق نبوءات عودتهم إليها على يهود اليوم واحتلالهم أرض فلسطين.
- الخلط بين معاداة اليهود ودولة "إسرائيل+ وبين ما يسمى (معاداة السامية)؛ إذ أصول الخزر الذين هم أجداد أكثر من (90%) من يهود اليوم ليست سامية، بل ترجع أصولهم كما تقدم إلى يافث بن نوح؛ هذا مع أن عبارة (معاداة السامية) بما توحي به من سمو العرق السامي وتفوقه على بقية الأعراق، عنصرية كريهة ينبغي أن تسقط أخلاقيا بصرف النظر عن هذه الحقيقة العلمية.

وإن المرء ليعجب من قبول الضمير الغربي لهذه النزعة العنصرية من الصهيونية – مع أن نسبة يهود اليوم إلى السامية محض خرافة– وهو

الذي قاوم النازية والفاشية، ورحب بسقوط نظام (الأبارتايد) في جنوب إفريقيا.

- ما قد شاع من الخلط بين الديانة (اليهودية) والسلالة (الإسرائيلية)، حتى غدا الانتماء الديني لليهودية يعني تلقائيا عند كثير من الناس الانتماء العرقي لبني إسرائيل، ومن نتائج هذا الخلط مثلا ما نسمعه من بعض الخطباء، أو نقرؤه لبعض الكتبة من وسم الصهاينة واليهود الحاليين بـ(أبناء أو أحفاد القردة والخنازير)؛ فهم إنما يطلقون مثل ذلك لما شاع عندهم من وهم انحدار اليهود الحاليين من سلالة اليهود القدماء الذين مسخهم الله؛ فقال ﴿لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[1]. ولعنهم ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾[2].

- ما استقر في بعض الأذهان ويتردد على ألسنة بعض أصحابها من أن العرب واليهود أبناء عمومة (!!)؛ كما قال فيصل بن الحسين الهاشمي (ملك العراق سابقا) وهو يخاطب القاضي اليهودي الأمريكي (فليكس فرانكفورتر) سنة 1919م: "إن العرب واليهود أبناء عم من الناحية العنصرية+"[3].

---

(1) سورة الأعراف: 166.

(2) سورة المائدة: 60.

(3) جمال حمدان، "اليهود أنثروبولوجياً"، ص: 45.

وأعلن الملك فيصل السعودي أثناء زيارة له لأمريكا أنه لا يكن شيئا ضد اليهود، معللا بالقول: "لأننا أبناء عمومة في الدم+[1].

وقال فتحي بن خليفة رئيس الكونجريس الأمازيغي في برنامج (نقطة نظام) الذي تبثه قناة العربية (حلقة: 17/ 04/ 2012) جواباً عن سؤال حول اتهام الأمازيغ بحميمية العلاقة مع إسرائيل، وهل هم معنيون بالقضية الفلسطينية؟ قال: "أتمنى أن يوفق إخوتنا العرب في حل مشكلتهم مع أبناء عمومتهم التاريخيين+.

فأي عمومة بين يهود الخزر، والفلاشا، والأمازيغ، ويهود كاي فنج الصينيين؛ - وهم الأغلبية الكبرى - كما تقرر - من يهود العصر الحالي- وبين العرب؟؟؟

▣ تكلف بعض الباحثين والمفسرين المعاصرين تفسير (الإفسادين) في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾[2]؛ بأن (الإفساد الأول) قد مضى، وأن "مرة الإفساد الثانية هي التي نعيشها اليوم؛ حيث ردت الكرة لبني إسرائيل على المسلمين+[3]، و"هذا الإفساد يتمثل في كيانهم الذي أقاموه في فلسطين، وفي تحكمهم وسلطانهم وعلوهم وتجبرهم الذي يبدو أوضح ما يكون في هذه

(1) نفسه، ص: 46.

(2) سورة الإسراء: 4.

(3) محمد هلال، "الإسراء وإسرائيل+، ط. دار البشير، ط.1، عمان (1417هـ/ 1997م)، ص: 34.

الأيام+[1]، وإنما أقدموا على هذا التأويل، تمهيدا للقول بأن قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾[2] تنبؤ قرآني بنهاية إسرائيل[3].

وهذا خطأ؛ لأن الكلام في الآية إنما هو عن بني إسرائيل ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، وقد تقرر أن المحتلين لفلسطين من يهود العصر الحالي ليسوا من سلالة بني إسرائيل كما توهم من فسر النص بما ذكر.

إن جميع من وقفت على كلامهم من العصريين حول هذه الآيات ممن يرون أن الإفساد الثاني فيها هو ما نعيشه الآن من الاحتلال الصهيوني لأرض فلسطين وإجرامهم فيها لم يتساءل أي منهم عما إذا كان اليهود العصريين من بني إسرائيل، أو حاول أن يثبت ذلك، وهو أمر لازم قبل الخوض في تأويل الآية، وإلا فكيف ينطبق قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ على أقوام أصولهم العرقية خزرية ومغولية وأمازيغية وفلاشية...، وغيرها من الأعراق التي ينحدر منها اليهود المحتلين اليوم بلاد فلسطين؟

فالصحيح ما قال به عامة المفسرين من أن الإفسادين معا قد مضيا، على خلاف بينهم في المراد بكل منهما.

---

(1) الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، الشخصية اليهودية من خلال القرآن: تاريخ وسمات ومصير+، ط. دار القلم، الطبعة.1، دمشق (1419هـ/ 1998م)، ص: 341.

(2) سورة الإسراء: 7.

(3) انظر تفصيل القول في تفسيرات بعض المعاصرين لآيات الإسراء هذه ومناقشتها في مقال للحسين بودميع، بعنوان: (هل في القرآن تنبؤ بنهاية الكيان الصهيوني؟)، منشور بمجلة البيان، العدد 361.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

الكتب المقدسة لدى أهل الكتاب.

❶ الكتاب "المقدس+، ترجمة بطرس البستاني وعالي سميث وكرنيليوس فانـدايك، طبعة دار الكتاب "المقدس+، مصر 2004.

❷ الكتاب "المقـدس+، (النسـخة اليسـوعية) ط. دار المشـرق، الطبعـة.3، بـيروت 1994م.

❸ التلمود البابلي، ترجمة وطبع مركز دراسات الشرق الأوسـط، عمـان- الأردن، الطبعة.1، (2011).

الكتب:

اختراع الشعب اليهودي؛ لشلومو ساند، ترجمة سعيد عيـاش، ط. مكتبـة الأهليـة، عمان- الأردن، والمركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، رام الله، (2011)،

📖 إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم؛ لأبي السعود بن محمد العمادي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، ط. مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، (بلا تاريخ).

📖 إسرائيل بين اليهودية والصهيونية؛ لروجي جارودي، ترجمة حسين حيـدر، ط. دار التضامن، بيروت، الطبعة.1، (1990).

📖 أطلس الأديان؛ لسامي بن عبد الله المغلوث، ط. مكتبـة العبيكـان، الطبعـة.1، الرياض (1428هـ/ 2007م).

📖 إظهـار الحـق؛ لرحمـة الله الهنـدي، دراسـة وتحقيـق وتعليـق: د. محمـد خليـل ملكاوي، ط. الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلميـة والإفتـاء، السـعودية، (1410هـ/ 1989م).

📖 الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية؛ لروجي جارودي، ترجمة محمد هشام، تقديم حسنين هيكل، ط. دار الشروق، القاهرة، الطبعة.2، (1419هـ/ 1998).

📖 الاستعمار والمذاهب الاستعمارية؛ لمحمد عوض محمد، ط. دار المعارف، الطبعة الثالثة (1957م).

📖 الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى؛ لأبي العباس أحمد بن خالد الناصري، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، ط. دار الكتاب، الدار البيضاء، (1418هـ/ 1997م).

📖 الإسراء وإسرائيل؛ لمحمد هلال، ط. دار البشير، الطبعة.1، عمان (1417هـ/ 1997م).

📖 الأقوال الجلية في بطلان كتب اليهودية والنصرانية؛ لمحمد علي، ط. مطبعة المنار، مصر، الطبعة.1، (1999م).

📖 البحر المحيط؛ لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة.1، (1413هـ/ 1993م).

📖 البحر المديد في تفسير القرآن المجيد؛ لأبي العباس أحمد بن محمد بن عجيبة الفاسي، تحقيق أحمد عبد الله قرشي رسلان، نشر حسن عباس زكى، القاهرة (1419 هـ).

📖 التاريخ اليهودي العام؛ لصابر طعيمة، ط. دار الجيل، الطبعة.3، بيروت، (1411هـ/ 1991م).

📖 التلمود البابلي، ترجمة وطبع مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان- الأردن، الطبعة.1، (2011): 20/ 103.

📖 التلمود والصهيونية؛ لأسعد زروق، ط. دار الناشر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة.2، (1411هـ/ 1991م).
📖 التلمود: تاريخه وتعاليمه؛ لظفر الإسلام خان، ط. دار النفائس، الطبعة.6، (1405هـ/ 1985م).
📖 التناقض في التوراة وأثره في الأعمال السلبية لليهود؛ لحامد الجبوري، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة.1، (2007).
📖 التوراة والإنجيل والقرآن والعلم؛ لموريس بوكاي، ترجمة حسن خالد، ط. المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة.3، (1411هـ/ 1990م).
📖 الجامع الصحيح؛ لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، مع شرح النووي، ط. دار المعرفة، الطبعة.10، بيروت (1425هـ/ 2004م).
📖 الجامع الصحيح؛ لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، مع فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، ط. دار السلام (الرياض)، ودار الفيحاء (دمشق)، الطبعة.3 (1421هـ/ 2000م).
📖 الجامع لأحكام القرآن؛ لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق هشام سمير البخاري، ط. دار عالم الكتب، الرياض، (1423هـ/ 2003م).
📖 الحركة الصهيونية: طبيعتها وعلاقاتها بالتراث الديني اليهودي؛ لمحمد خليفة حسن، ط. دار المعارف، القاهرة، الطبعة.1، (1981).
📖 الحروب الصليبية هل انتهت؟؛ لعبد الوهاب زيتون، ط. دار المعرفة، دمشق، (1992).
📖 السنن الكبرى؛ لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق وتخريج حسن عبد المنعم شلبي، بإشراف شعيب الأرناؤوط، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة.1، (1421هـ/ 2001م).

📖 السياسات الديموغرافية لليهود في إسرائيل والشتات: الاتجاهات والخيارات: (Population Trends and Options in demographic Policies Jewish and in the Diaspor"Israel")
التقرير السنوي لمعهد تخطيط سياسة الشعب اليهودي (JPPI) بالقدس، لسنة 2010.

📖 الشخصية اليهودية من خلال القرآن: تاريخ وسمات ومصير؛ لصلاح عبد الفتاح الخالدي، ط. دار القلم، الطبعة.1، دمشق (1419هـ/ 1998م).

📖 الصليبيون الجدد، الحملة الثامنة: دراسة في أسباب التحيز الأمريكي والبريطاني لإسرائيل؛ ليوسف العاصي الطويل، ط. مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة.1، (1997).

📖 الصهيونية العالمية؛ لعباس محمود العقاد، ط. دار المعارف، مصر، (2001).

📖 الصهيونية بإيجاز؛ لمحمد باخريبه، ط. مكتبة الملك فهد، الطبعة.1، (2001).

📖 الصهيونية غير اليهودية: جذورها في التاريخ الغربي؛ لريجينا الشريف، ترجمة: أحمد عبد الله عبد العزيز، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد (96)، ربيع.1، 1396هـ، الموافق ديسمبر 1985م.

📖 الصهيونية في الستينات: الفاتكان واليهود؛ لمحمود نعناعة، ط. الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة (1994م).

📖 الصهيونية وإسرائيل وآسيا؛ لجودفري جانسن، ترجمة راشد حميد، ط. مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، (1972).

📖 الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم؛ لسعد رستم، ط. دار الأوائل، الطبعة.2، دمشق (2005م).

📖 الفرق والمذاهب اليهودية؛ لعبد المجيد همو، ط. دار الأوائل، الطبعة.3، دمشق (1425هـ/ 2004م).

📖 الفصل في الملل والأهواء والنحل؛ لأبي محمد علي بن حزم الأندلسي، تحقيق إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، ط. دار الجيل الطبعة.2، بيروت (1416هـ/ 1996م).
📖 الفلاشا: الخيانة والمحاكمة؛ لصلاح عبد اللطيف، ط. مكتبة مدبولي، الطبعة.1، القاهرة (1986).
📖 القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم؛ لآرثر كوستلر، ترجمة: أحمد نجيب هاشم، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة ألف كتاب (1991م).
📖 الكتب المقدسة في ميزان التوثيق؛ لعبد الوهاب عبد السلام طويلة، ط. دار السلام، القاهرة، الطبعة.2، (1423هـ/ 2002م).
📖 اللاسامية في الفكر الصهيوني: الجذور التاريخية والأهداف؛ لعبد الوهاب محمد الجبوري، ط. دار الجاحظ للنشر، بغداد (1982).
📖 المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز؛ لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: الرحالة الفاروق وآخرين، من مطبوعات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بقطر، الطبعة .2، (1428هـ- 2007م).
📖 المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع؛ لأبي حاتم محمد بن حبان البستي، ترتيب علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق وتخريج وتعليق شعيب الأرنؤوط، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة.2، (1414هـ/ 1993م).
📖 المسيحية والتوراة: بحث في الجذور الدينية لصراع الشرق الأوسط؛ لشفيق مقار، ط. رياض الريس للكتب والنشر، لندن، الطبعة.1، (1992م).
📖 المعجم الأوسط؛ لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن الحسيني، ط. دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (1415هـ/ 1995م).

📖 المعجم الكبير لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق وتخريج حمدي عبد المجيد السلفي، ط. مكتبة ابن تيمية، القاهرة، (1404هـ/ 1983م).
📖 المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل: الأسطورة والإمبراطورية والدولة اليهودية؛ لمحمد حسنين هيكل، ط. دار الشروق، القاهرة، الطبعة.1، (1996).
📖 المفردات في غريب القرآن؛ لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، ط. مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، (بلا تاريخ).
📖 المكون اليهودي في الحضارة الغربية؛ لسعد البازعي، ط. المركز الثقافي العربي، الطبعة.1، (2007).
📖 المناهضة اليهودية للصهيونية؛ لياكوف رابكن، ترجمة دعد قناب عائدة، ط. ونشر مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة.1 ، (بيروت 2006).
📖 النبوءة والسياسة؛ لجريس هالسل، ترجمة محمد السماك، ط. دار الشروق، القاهرة، الطبعة.2، (1424هـ/ 2003م).
📖 الوجيز في تفسير الكتاب العزيز؛ لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق صفوان عدنان داوودي، ط. دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، الطبعة.1، (1415هـ/ 1995م).
📖 الوحي ونقيضه: بوتوكولات حكماء صهيون في القرآن؛ لبهاء الأمير، ط. مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة.1، (2006).
📖 اليهود أنثروبولوجيا؛ لجمال حمدان، تقديم عبد الوهاب المسيري، سلسلة تصدر عن دار الهلال القاهرة، العدد (542)، فبراير 1996.
📖 اليهود المغاربة من منبت الأصول إلى رياح الفرقة، للدكتور أحمد شحلان، ط. دار أبي رقراق، الرباط، الطبعة.1، (2009م)،

📖 اليهود في المغرب العربي؛ لعبد الرحمن بشير، ط. مؤسسة عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة.1، مصر (2001).
📖 اليهود في بلاد المغرب الأقصى في عهد المرينيين والوطاسيين؛ عطا علي محمد رية، ط. دار الكلمة، الطبعة.1، دمشق (1999).
📖 اليهود من سراديب الجيتو إلى مقاصر الفاتيكان؛ لكامل سعفان، ط. دار الفضيلة (دون تاريخ).
📖 اليهود وأكاذيبهم؛ لمارتن لوثر، ترجمة محمود النجيري، ط. مكتبة النافذة، الجيزة، الطبعة.1 (بلا تاريخ).
📖 اليهودية التبشيرية في الكتب المقدسة؛ لمحمد أحمد محمود حسن، ط. مكتبة النهضة المصرية، نشر مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة (1998).
📖 أنوار التنزيل وأسرار التأويل؛ لأبي سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي، تحقيق محمد صبحي حسن حلاق ومحمد أحمد الأطرش، ط. دار الرشيد ومؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة.1، (1421 هـ - 2000م).
📖 بونبارت والإسلام بونبارت والدولة اليهودية؛ لهنري لورانس، ترجمة بشير السباعي، ط. دار مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة.1، (1998).
📖 تاريخ الفكر الصهيوني: جذوره ومساره وأزمته؛ لعبد الوهاب المسيري، ط. دار الشروق، القاهرة، الطبعة.1، (2010م).
📖 تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام؛ لإسرائيل ولفنسون، ط. مطبعة الاعتماد، مصر (1345هـ/ 1927).
📖 تاريخ يهود الخزر؛ لدوغلاس مورتن دانلوب، ترجمة وتقديم: سهيل زكار، ط. دار إحسان، الطبعة.2، دمشق (1410هـ/ 1990م).

📖 تحريف مخطوطات الكتاب المدس؛ لعلي الريس، ط. مكتبة النافذة، القاهرة، (بلا تاريخ).
📖 تفسير القرآن العظيم؛ لأ بي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ، ط. مكتبة النور العلمية الأولى، بيروت (1412هـ/ 1992م).
📖 جامع البيان عن تأويل آي القرآن؛ لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق أبي فهر محمود محمد شاكر، راجع أحاديثه أبو الأشبال أحمد محمد شاكر، ط. مؤسسة الرسالة، الطبعة.1 (1420هـ/ 2000م).
📖 جدل حول صهيون؛ لدوغلاس ريد، ترجمة: غياث كنعو، ط. دار الحصاد، دمشق، الطبعة.2، (1998).
📖 جذور الاستعمار الصهيوني بفلسطين؛ علي المحجوبي، ط. دار سراس للنشر، تونس، (1990).
📖 جذور الانحياز: دراسة في تأثير الأصولية المسيحية في السياسة الأمريكية تجاه القضية الفلسطينية؛ ليوسف الحسن، ط. مركز الإمارات للبحوث والدراسات الإستراتيجية، أبوظبي، الطبعة.1، (2002م).
📖 حمى سنة 2000 : نظرات في مسيرة الصراع الديني ضد المسلمين؛ لعبد العزيز مصطفى كامل، من منشورات مجلة البيان ط.3، (دون تاريخ).
📖 حياتي؛ لجولدا مائير، ترجمه عزيز عزمي، بعنوان: (اعترافات جولدا مائير)، ط. مؤسسة دار التعاون، القاهرة، (بلا تاريخ).
📖 دائرة المعارف الكتابية، تحرير الدكتور القس منيس عبد النور ،وآخرين، ط. دار الثقافة، القاهرة، الطبعة.1، (2001م).
📖 ذئاب في ثياب حملان: مختصر قصة الأصولية الأمريكية؛ لإميل أمين، ط. دار المريخ، القاهرة، (1427هـ/ 2007م).

📖 رسالة في اللاهوت والسياسة؛ لبنديكتوس سبينوزا، ترجمة حسن حنفي، ط. دار التنوير، بيروت، الطبعة.1، (2005).
📖 سرقة أمة؛ لوليم بيكر، ترجمة سهيل زكار، ط. دار إحسان، الطبعة.1، دمشق (1985).
📖 سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها؛ لمحمد ناصر الدين الألباني، ط. مكتبة المعارف الرياض، (صدر عبر سنوات).
📖 صحيح الجامع الصغير وزياداته؛ لمحمد ناصر الدين الألباني، ط. المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة.3، (1408هـ/ 1988م).
📖 عقيدة اليهود في تملك فلسطين؛ لعابد توفيق الهاشمي، ط . دار اقرأ، الطبعة.1، اليمن (1412هـ / 1992م).
📖 فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير؛ لأبي علي محمد بن علي الشوكاني، ط. المكتبة العصرية، الطبعة.1 بيروت (1417هـ/ 1996م).
📖 فتنة الدجال ويأجوج ومأجوج؛ لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق وتعليق، د. أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي، ط. دار ابن الجوزي، الطبعة.2، (1427هـ/ 2006م).
📖 فلسطين أرض الرسالات السماوية؛ لروجي جارودي، ترجمة قصي أتاسي، وميشيل واكيم، ط. دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق (1991).
📖 فلسطين بين الحقائق والأباطيل؛ لأحمد عبد الوهاب، ط. مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة.1، (1392هـ/ 1972م).
📖 فلسطين: القضية – الشعب – الحضارة؛ لبيان نويهض الحوت، ط. دار الاستقلال للدراسات والنشر، الطبعة.1، بيروت (1991م).

📖 فلسطين: جريمة.. ودفاع؛ لأرنولد توينبي، تعريب عمر الديراوي، ط. دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة، بيروت يناير (1981م).
📖 قاموس الأنثروبولوجيا، للدكتور شاكر سليم ، نشر جامعة الكويت (1981).
📖 قاموس الكتاب المقدس، تأليف وترجمة الدكتور جورج بوست، ط. المطبعة الامريكانية، بيروت، (1894م).
📖 قاموس الكتاب المقدس، تأليف وترجمة الدكتور جورج بوست، ط. المطبعة الامريكانية، بيروت، (1894م).
📖 قاموس الكتاب المقدس؛ لبطرس عبد الملك وآخرين، إصدار شركة (Compubraille)، مصر (بلا تاريخ).
📖 قصة الأنثروبولوجيا: فصول في تاريخ علم الإنسان، للدكتور حسين فهيم، نشر سلسلة عالم المعرفة الكويتية، عدد (98)، فبراير (1986).
📖 قصة الحضارة؛ لويليم جيمس ديورَانت، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين، تقديم: الدكتور محيي الدّين صَابر، ط. دار الجيل، بيروت، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، (1408 هـ - 1988 م).
📖 قوة اليهود في أمريكا؛ لجونثان جولد بيرج، ترجمة نهال الشريف، ط. دار الهلال، القاهرة، الطبعة.1، (1997م).
📖 كتاب التاريخ؛ لأحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، ط. مطبعة بريل، ليدن، (1883م).
📖 كتاب السنن؛ لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، حكم على أحاديثه وعلق عليها الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، واعتنى به أبوعبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط. مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة.1، (بلا تاريخ).

📖 كتاب السنن؛ لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، حكم على أحاديثه وعلق عليها الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، واعتنى به أبوعبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط. مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة.1، (بلا تاريخ).
📖 كتاب العبر وديوان المبتدإ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، المعروف بـ (تاريخ ابن خلدون)؛ لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون الحضرمي، تحقيق خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، ط. دار الفكر، بيروت، (1421هـ/ 2001م).
📖 كتاب المسند؛ لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق وتخريج وتعليق شعيب الأرناؤوط وآخرين، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة.1، (1420هـ/ 1999م).
📖 كتاب: المؤتمر الصهيوني السابع و العشرون 1968 ، الجزء الثاني: الجلسات والقرارات، نشر مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ومركز الدراسات الفلسطينية والصهيونية بالأهرام، القاهرة، الطبعة.1، (1971).
📖 لسان العرب؛ لجمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة.1، (1426هـ/ 2005م).
📖 محاكمة الصهيونية؛ لروجي جارودي، ترجمة عادل المعلم، ط. دار الشروق، القاهرة، الطبعة.4 (1422هـ/ 2002).
📖 مصادر النصرانية دراسة ونقدا؛ لعبد الرزاق عبد المجيد ألارو، ط. دار التوحيد للنشر، الرياض، الطبعة.1، (1428هـ/ 2007م).
📖 معالم التنزيل؛ لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحر، ط. دار طيبة، الطبعة.4، (1417هـ/ 1997م).

📖 مقارنة الأديان: اليهودية؛ لأحمد شلبي، ط. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة.8، (1988م).
📖 ملكوت الله ومملكة قيصر؛ لعمانوئيل ليفين، ط. دار النشر لوريفاي، بيروت (دون تاريخ).
📖 مملكة الخزر اليهودية، وعلاقتها بالبزنطيين والمسلمين في العصور الوسطى؛ لمحمد عبد الشافي، ط. دار الوفاء، الإسكندرية (2002).
📖 من أجل صهيون: التراث اليهودي المسيحي في الثقافة الأمريكية؛ لفؤاد شعبان، ط. دار الفكر، دمشق (1424هـ/ 2003م).
📖 من هو اليهودي؟؛ لعبد الوهاب المسيري، ط. دار الشروق، الطبعة الثالثة، القاهرة، (2002م).
📖 مناحيم بيغن: التوراة والبندقية؛ لفكتور مالقا، نقله عن الفرنسية عصام عسيران، ط. المكتبة الثقافية، بيروت (1979).
📖 موسوعة السياسة؛ لعبد الوهاب الكيالي وآخرين، ط. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة.1، (1979).
📖 موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية الموجزة؛ لعبد الوهاب المسيري، ط. دار الشروق، القاهرة، الطبعة.6، (2010): 2/ 205.
📖 موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية؛ لعبد الوهاب المسيري، ط. دار الشروق، القاهرة، الطبعة.1، (1999م).
📖 موسوعة علم الإنسان: المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية، تأليف: شارلوت سيمور شميث، ترجمة مجموعة من أساتذة علم الاجتماع بإشراف محمد الجوهري، ط. المركز القومي للترجمة، الطبعة الثانية، القاهرة (2009).

📖 نزهة المشتاق في اختراق الآفاق؛ لمحمد بن محمد بن عبد الله الإدريسي، ط. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (1422هـ/ 2002م).
📖 نزهة المشتاق في اختراق الآفاق؛ لمحمد بن محمد بن عبد الله الإدريسي، ط. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (1422هـ/ 2002م).
📖 يهود الفلاشا: أصولهم ومعتقداتهم؛ لمحمد جلاء إدريس، ط. مكتبة مدبولي، القاهرة (1993).
📖 يهود الفلاشا: أصولهم ومعتقداتهم؛ لمحمد جلاء إدريس، ط. مكتبة مدبولي، القاهرة (1993).
📖 يهود اليوم ليسوا يهودا؛ لبنيامين فريدمان، إعداد زهدي الفاتح، ط. دار النفائس، الطبعة.3، بيروت (1408هـ/ 1988م).
🗁 مجلة جامعة الخليل للبحوث، المجلد2، العدد2، (2006).
المقال المعتمد: الحركات الدينية والاجتماعية في فلسطين من القرن 2.ق.م إلى: القرن 1.م؛ لمحمد العلامي.

الفهرس

مقدمة..... – 7 –

الفصل الأول ..... – 13 –

"أرض الميعاد"..... – 13 –

ودعوى الحق اليهودي فيها..... – 13 –

الصهيونية ودعوى حق اليهود في فلسطين..... – 13 –

المبحث الأول..... – 15 –

تعريف "أرض الميعاد" وحدودها..... – 15 –

المبحث الثاني ..... – 24 –

الصهيونية ودعوى الحق اليهودي في فلسطين ..... – 24 –

المطلب الأول: مفهوم الصهيونية ونشأتها بين اليهود..... – 24 –

المطلب الثاني: دعوى الحق اليهودي في أرض فلسطين ومستنداتها..... – 56 –

الفصل الثاني ..... – 70 –

دعوى الحق اليهودي في فلسطين في ميزان النقد ..... – 70 –

المبحث الأول..... – 71 –

الدليل التاريخي ..... – 71 –

المبحث الثاني..... – 77 –

الدليل الديني..... - 77 -
المبحث الثالث ..... - 104 -
الدليل الأنثروبولوجي ..... - 104 -
خاتمة..... - 135 -
قائمة المصادر والمراجع..... - 139 -
الكتب: ..... - 139 -